

أونتيغون

ذكر محайд. ثلاثة أبواب متشابهة. عند رفع الستار، تكون كل الشخصيات على الخشبة. تتحدث، تحريك أو تلعب بالورق.
يظهر المعهد و يتقدم.

المعهد

الآن، سيمثل لكم هؤلاء الشخصيات قصة أونتيغون. أونتيغون هي الشابة الهزيلة الجالسة هناك و التي تلزم الصمت. تنظر أمامها. تفكير. تفكير أنها ستكون أونتيغون بعد قليل، أنها ستتبثق فجأة من الشابة السمراء و المنغلقة على نفسها التي لا يأخذها أحد على محمل الجد في العائلة و ستقف وحيدة أمام العالم، وحيدة بوجه كرييون خالها و هو الملك. تفكير أنها ستموت و أنها شابة و أنها كانت لترغب في العيش أيضا. لكن ما يبدها حيلة. اسمها أونتيغون و عليها أن تلعب دورها حتى النهاية... و منذ أن رفعت هذه الستارة، تشعر بأنها تبتعد بسرعة فائقة عن شقيقتها إسمين التي تثير و تضحك مع شاب، عنا نحن جميعا، الموجودون هنا هادئون، ننظر إليها، عنا نحن الذين لسنا مضطرين للموت هذا المساء.

الشاب الذي تكلمه الشقراء و الجميلة و السعيدة إسمين هو إيمون ابن كرييون. إنه خطيب أونتيغون. كان كل شيء يجذبه إلى إسمين: ميله إلى الرقص و الألعاب و ميله إلى السعادة و النجاح و شقيقته أيضا لأن إسمين جميلة أكثر من أونتيغون، لكن ذات مساء، كانت هناك حفلة راقصة حيث لم يراقص إلا إسمين، ذات مساء عندما كانت إسمين مذهلة بفساتنها الجميل، ذهب إلى أونتيغون التي كانت تحلم في إحدى الزوايا كما الآن و ذراعها تحيطان بركتيبيها و طلب منها أن تصبح زوجته. لم يفهم أحد السبب. رفعت أونتيغون بلا تعجب عينيها الجديتين صوبه و قالت له: «نعم» بابتسمة حزينة... بدأت الفرقة الموسيقية بعزف رقصة جديدة. كانت إسمين تضحك بقوة هناك وسط الشباب الآخرين و الآن، كان

سيصبح زوج أونتيغون. لم يكن يعرف بأنه لا يجب أن يكون هناك وجود لزوج أونتيغون على هذه الأرض و أن هذا اللقب الأميركي أعطاه فقط الحق بالموت.

هذا الرجل الصلب ذو الشعر الأبيض الذي يتأمل هنا قرب غلامه هو كريون الملك، لديه تجاعيد، إنه متعب، يلعب اللعبة الصعبة و هي لعبة قيادة البشر. في الماضي، في زمن إدبيب، عندما كان أول شخصية في البلاط فحسب، كان يحب الموسيقى و الكتب الجميلة و النزهات الطويلة عند تجار التحف القديمة في طيبة لكن إدبيب و أبناءه ماتوا. ترك كتبه و أغراضه، رفع كميته و حل محلهما.

لذا أحيانا في المساء، يشعر بالتعب و يتماءل إن كانت قيادة البشر أمرا لا نفع منه و إن كانت مهمة كريمه يجب تركها للغير، الأفظاظ... لكن في الصباح تطرح مشاكل دقيقة يجب حلها فينهض هادنا كالعامل في بداية نهاره.

السيدة العجوز التي تحيك، إلى جانب الحاضنة التي رببت الصغيرتين، هي أوريديس، زوجة كريون. ستحيك طوال التراجيديا حتى يأتي دورها لنقف و نموت. إنها لطيفة، شريفة و محبة. إنها لا تستطيع مساعدته بشيء. كريون بمفرده، بمفرده مع غلامه الصغير الذي هو صغير جدا و لا يستطيع مساعدته أيضا.

ذلك الشاب الشاحب هناك، الذي يحلم عند الطرف و هو مستند إلى الجدار، وحيدا. إنه المبعوث، هو الذي سيعلن موت إيمون بعد قليل. لذا لا يرغب في الثرثرة أو الاختلاط بالأخرين. إنه يعرف مسبقا...

أخيرا، هؤلاء الرجال الصهيب الثلاثة الذين يلعبون الورق، واضعين قبعاتهم على أنفائهم هم الحراس. ليسوا قليلا الذوق، لديهم زوجات و أولاد و متاعب صغيرة مثل الجميع لكنهم سيمسكون بالمتهمين بهدوء بعد قليل، هم مجردون من أية مخلية، إنهم المعاونون الأبراء دوما و الراضيون دوما عن أنفسهم و عن العدالة. في الوقت الحاضر إلى أن يتم

تعيين قائد جديد موكل على طيبة و يأمرهم بتوقيفه بدوره، إنهم معاونون عدليون يعملون لدى كريون.

و الأن و قد أصبحتم تعرفونهم جميعا، سيمكنون من تمثيل قصتهم أمامكم، إنها تبدأ عندما قام ابنًا إبليس، إتيوكول و بولينيس اللذان كان عليهما حكم طيبة لمدة عام، كل واحد بدوره، بالتفاوت تحت جدران المدينة. إتيوكول الابن البكر وبعد أول سنة حكم، رفض ترك محله لأخيه. استمال بولينيس سبعة أمراء كبار أجانب إلى جانبه لكن تمت هزيمتهم أمام أبواب طيبة. الأن، تم إنقاذ المدينة، مات الشقيقان العدوان و أمر كريون الملك بأنه لإتيوكول الشقيق الصالح ستقام مراسم دفن عظيمة لكن بولينيس النذل و المتمرد و الزفاقي سيترك بلا بكاء و لا قبر كفريسة للصقور و بنات آوى.

إن الذي سيجرؤ على القيام بمراسم دفنه سيعاقب بالموت بقسوة.

بينما كان الممهد يتحدث، خرجت الشخصيات واحداً بواحد. اختفى الممهد كذلك. تغيرت الإضاءة على الخشبة. إنه فجر رمادي و شاحب الأن في منزل نائم. توأرب أونتيفون الباب و تعود من الخارج على أطراف قدميها الحافيتين، حاملة حذانها في يدها. تظل تستمع للحظة. تظهر الحاضنة.

الحاضنة

من أين أتيت؟

أونتيفون

كنت أتنزه، أيتها الحاضنة، كان ذلك جميلا، كان كل شيء رماديًا. الأن، لا يمكنك أن تعرفي فقد أصبح كل شيء زهري و أصفر و أخضر اللون. أصبح كل شيء كبطاقة بريدية. عليك التهوض في وقت أبكر أيتها الحاضنة إن أردت رؤية عالم بلا لوان.

الحاضنة

أنهض عندما يكون الوقت ما يزال ليلًا، اذهب إلى غرفتك لأرى إذا ما أزحت البطانية خلال نومك و لا أجده في سريرك!

أونتيفون

كانت الحديقة ما تزال نائمة، لقد فاجأتها أيتها الحاضنة. رأيتها على غفلة منها. كانت جميلة تلك الحديقة التي لا تفكر في البشر بعد.

الحاضنة

خرجت، لقد ذهبت إلى الباب الخلفي، كنت قد تركته مواربا.

أونتيغون

في الحقول، كان كل شيء مبللاً وكان ينتظر، كان كل شيء ينتظر. كنت أحدث ضجة هائلة بمفردي على الطريق و شعرت بالانزعاج لأنني عرفت جيداً أنهم لم ينتظروني، عندئذ، نزعت صندلي و تسللت إلى الريف من دون أن يلاحظ ذلك...

الحاضنة

عليك غسل قدميك قبل العودة إلى السرير.

أونتيغون

لن أعود إلى النوم هذا الصباح.

الحاضنة

عند الرابعة صباحاً! لم تكن الساعة الرابعة بعد، نهضت كي أرى إذا ما أزاحت بطانيتها، فوجدت سريرها بارداً و فلرغياً.

أونتيغون

هل تظنين أنه لو نهض المرء كل صباح، سيكون كل شيء بهذا الجمال أيتها الحاضنة، أن أكون أول فتاة تخرج؟

الحاضنة

الليل، كان الليل، و تريدين إقناعي بأنك تتراءت، كاذبة! من أين أتيت؟

أونتيغون

هذا صحيح، كان الرقت لا يزال ليلاً. لكنني كنت الوحيدة في الريف التي ظنت أنه الصباح. هذا رائع أيتها الحاضنة. أنا أول من آمن بالنهراليوم.

الحاضنة

تصرفي بجنون! تصرفي بجنون! أعرف هذا الكلام، كنت فتاة قبلاً و لم
أكن سهلة المeras أيضاً لكن عنيدة مثلك، كلا. من أين أتيت أيتها
الشريرة؟

أونتيغون

لا، لست شريرة.

الحاضنة

كان لديك موعد صحيح؟ قولي: لا، ربما.

أونتيغون

نعم، كان لدى موعد.

الحاضنة

لديك عاشق؟

أونتيغون، بغرابة، بعد صمت.

نعم أيتها الحاضنة، نعم، المسكين، لدى عاشق.

الحاضنة، تنفعل،

هذا جميل و نقى! أنت ابنة ملك! تكبدوا العناء؛ تكبدوا العناء من أجل
تربيتهن لكن جميعهن متشابهات. مع أنك لم تكوني كالآخريات. لم تسحرني
شعرك دوماً أمام المرأة و لم تضعي أحمر الشفاه، لم تحاولني لفت
الأنظار. كم من مرة قلت لنفسي: «يا إلهي، إن هذه الصغيرة ليست أنيقة
جداً! دانما ترتدي نفس الفستان و شعرها أشعث. لن يرى الشباب سوى
إسمين بخللها و شرائطها و سيرتكونها بين ذراعي.» و هكذا كما ترين،
كنت مثل أختك، و أسوء من ذلك أيتها المنافقة! من هو؟ ربما هو زقافي؟
شاب، و لا تستطيعين إخبار عائلتك: «حسنا، إنه من أحب و أريد الزواج
به.» هذا صحيح، ها، لهذا صحيح؟ هيا أجيبي أيتها المتعالية!

أونتيغون، تبتسم ثانية بشكل خفيف.

نعم أيتها الحاضنة.

الحاضنة

و تقول: نعم! رحمة! استلمتها في صغرها، وعدت أمها المسكينة بأنني سأجعل منها فتاة شريفة و هذا ما حصل! لكن الأمور لن تجري على هذا النحو يا صغيرتي، أنا لست سوى حاضنتك و تعامليني معاملة دنيئة لكن عماك، عماك كريون سيعلم بالأمر، أعدك بذلك!

أونتيغون، فجأة و قد سنت نوعاً ما.

نعم أيتها الحاضنة، سيعلم عمى كريون بالأمر، دعني الآن.

الحاضنة

و سترین ما سيقوله عندما يعلم بأنك تنهضين ليلاً. و ماذا عن إيمون؟ و ماذا عن خطيبك، لأنها مخطوبة، إنها مخطوبة و عند الرابعة صباحاً تغادر سريرها لتركض مع شاب آخر و تجيئني بان أدعها، تريدين أن ألزم الصمت. هل تعرفين ما على فعله؟ على أن أضربك كما كنت أفعل في صغرك.

أونتيغون

حاضنتي، لا يجب أن تصرخي كثيراً، لا يجب أن تكوني شريرة جداً هذا الصباح.

الحاضنة

عدم الصراخ! يجب ألا أصرخ علامة على ذلك! أنا من وعد أمك... ماذا ستقول لي أمك لو كانت هنا؟ «عجوز بلهاء، عجوز بلهاء لم تعرف كيف تحافظ على صفاء ابنتي، تصرخ باستمرار و تلعب دور كلب الحراسة، تدور من حولها مع الكلمات كي لا يصيبيها البرد أو شراب البيض لتفويتها، لكن عند الرابعة صباحاً تنامين أيتها العجوز بلهاء، تنامين، أنت التي تعجز عن غمض العينين و تتركينها تذهب أيتها بلهاء و عندما تصلين، يكون السرير بارداً!» هذا ما ستقوله لي والدتك فوق عندما أصعد و أنا سأشعر بالعار، بالعار حتى أموت إن لم أكن قد مت مسبقاً، لن يسعني إلا خفض رأسي و الرد: «سيدة جوكاست، هذا صحيح.»

أونتيغون

لا ! أيتها الحاضنة، كفي عن البكاء، ستمكين من النظر إلى أمي عندما ستقابلينها و ستفول لك: « مرحبا أيتها الحاضنة، شكرًا على أونتيفون الصغيرة، لقد اعتنيت بها جيدا ». « إنها تعرف لما خرجت هذا الصباح.

الحاضنة

أليس لديك عاشق ؟

أونتيفون

لا ، يا حاضنتي .

الحاضنة

إذا فائت تسخرين مني . كما ترين ، أنا عجوز للغاية ، كنت المفضلة لدى رغم طباعك السيئة ، كانت شقيقتك أكثر رقة لكن حسبت أنك أنت من كانت تحبني . لو كنت تحبيني لأخبرتني بالحقيقة . لماذا كان سريرك باردا عندما أتيت لأعطيك ؟

أونتيفون

توقفت عن البكاء ، يا حاضنتي . (قبلها) هيا ، يا تفاحتى القديمة ، الجيدة و الحمراء . هل تذكري عندما كنت أفررك لتلمعى ؟ تفاحتى القديمة الملينة بالتجاعيد . لا تذرفي دموعك في كل الجداول الصغيرة من أجل تفاهات مثل هذه - من أجل لا شيء . أنا صافية ، ليس لدى أي عاشق آخر إلا إيمون خطيبى ، أقسم لك بهذا . حتى إننى أستطيع أن أقسم لك إن أردت بأنه لن يكون لدى أي عاشق آخر أبدا ... احتفظي بدموعك ، احتفظي بدموعك ؛ ربما لازلت ستحتاجين إليها مرة أخرى يا حاضنتي . عندما تبكين هكذا ، أعود صغيرة ... و يجب ألا تكون صغيرة هذا الصباح .

تدخل اسمين .

إسمين

أنت مستيقظة منذ الآن ، لقد كنت في غرفتك .

أونتيفون

نعم ، أنا مستيقظة .

الحاضنة

إذا كلّاكما، ستصبح كلّاكما مجنونة و ستنهضان قبل الخادمات؟ هل تظنّان بأنه من الجيد أن ينهض المرء في الصباح بلا طعام، بأن هذا يليق بأميرةتين؟ أنت لم تتغطّي أيضاً. ستريان بأنّكما ستصابان بالبرد مجدداً.

أونتيفون

دعينا أيتها الحاضنة. ليس الجو بارداً، أؤكّد لك ذلك فقد حل الصيف. أعدّي لنا القهوة. (إنها جالسة، فجأة متعبة.) أريد بعض القهوة من فضلك يا حاضنّتي، ستيفاني.

الحاضنة

صغيرتي، إنها مصابة بدوار لأنّها لم تأكل شيئاً و أنا أقف هنا كالبلهاء بدل أن أعطيها مشروباً ساخناً.

تخرج بسرعة

إسمين

هل أنت مريضة؟

أونتيفون

لا بأس، أنا متعبة قليلاً. (تبتسم.) لأنّي نهضت باكراً.

إسمين

أنا أيضاً لم أنم

أونتيفون، تبتسّم من جديد.

يجب أن تتأمي، ستكونين أقل جمالاً في الغد.

إسمين

لا تسخري مني.

أونتيفون

أنا لا أسخر منك. يطمئنّني هذا الصباح أن تكوني جميلة. في صغرى، كنت تعيسة جداً هل تذكري؟ كنت أطليك بالوحش، أضع الديدان في عنقك. ذات مرة، قيدتك بشجرة و قصصت شعرك، شعرك الجميل... (تداعب

شعر إسمين). كم يسهل عدم التفكير في ارتكاب الحماقات مع كل هذه
الخصل الجميلة و الناعمة و المرتبة حول رأسك!
إسمين، فجأة.

لم تتكلمين عن موضوع آخر؟
أونتيغون، بهدوء و دون أن تتوقف عن مداعبة شعرها.
لا أتكلم عن موضوع آخر...

إسمين

أتعرفين؟ فكرت مليا يا أونتيغون.
أونتيغون

نعم.

إسمين

فكرت مليا طوال الليل. أنت مجنونة.
أونتيغون

نعم

إسمين

لا نستطيع.
أونتيغون

لماذا؟

إسمين

سيقتلنا.
أونتيغون

بالتأكيد. لكل منا دوره، هو عليه أن يميّتنا و نحن علينا دفن أخيها، هذا
وزعت الأدوار. ما الذي نستطيع فعله؟

إسمين

لا أريد الموت.
أونتيغون، بهدوء.

أنا أيضاً، كنت أود ألا أموت.

إسمين

اسمعي، فكرت مليا طوال الليل، أنا الابنة الكبرى. افكر أكثر منك. أما أنت فتنفذين ما يخطر ببالك في الحال و لا يهم إن كانت حماقة. أنا أكثر رزانة. أفكر.

أونتيغون

أحياناً، لا يجب إطالة التفكير.

إسمين

بللي يا أونتيغون. أولاً، بالتأكيد هذا رهيب و أنا أيضاً أشفق على شقيقتي لكنني أفهم عمنا قليلاً.

أونتيغون

لا أريد فهم القليل.

إسمين

إنه الملك، يجب أن يكون القدوة.

أونتيغون

أنا لست الملك. يجب ألا أكون القدوة، أنا... تفعل أونتيغون الصغيرة كل ما يخطر على بالها، الحيوان الفذر، العنيدة، الشريرة! و بعدئذ، نضعها في زاوية أو حفرة و هي تستحق ذلك. ما كان عليها أن تعصي الأوامر!

إسمين

كفى! كفى!... نقطلين حاجبيك و تنتظرين أمامك و تتطلاقين من دون الإصغاء لأحد. أصغي إلي فانا على حق أكثر منك.

أونتيغون

لا أريد أن أكون محقّة

إسمين

حاولي الفهم على الأقل!

أونتيغون

الفهم... لا ترددون جمِيعاً إلَّا هذه الكلمة، منذ صغرِي، كان يجب أن أفهم أنه لا يمكن لمس المياه الباردة و السائلة لأنها تُبلِّغُ البلاط و الوحل لأنَّه يُلْطِخُ الفساتين، كان يجب فهم أننا لا نستطيع تناول كل شيء دفعة واحدة، إعطاء كل ما في جيوبنا للشحاذين الذين تلتقيهم، الركض، الركض في الرياح حتى نقع أرضاً و الشرب عندما نشعر بالحر و السباحة عندما يكون الوقت مبكراً أو متاخراً لكن ليس عندما نرغب في ذلك فقط! الفهم! الفهم دوماً. لكنني لا أريد الفهم. سأفهم عندما أصبح عجوزاً (تنهي بروية) إذا أصبحت عجوزاً، ليس الآن.

إسمين

إنه أقوى منا يا أونتيغون، إنه الملك، و الجميع يشاطرونَه أفكاره في المدينة، إنهم يعدون بالآلاف من حولنا، يتجمهرون في كل شوارع طيبة.

أونتيغون

أنا لا أصغي إليك.

إسمين

سيطاردونا بالصياح، سيمسكون بنا بأذرعهم الألف، بوجوههم الألف و بنظرتهم الواحدة، سيفسقون في وجهنا. و سيكون علينا التقدم في كرههم على العربية مع رائحتهم و ضحكاتهم وصولاً إلى العذاب. و عندئذ، سيكون الحراس برؤوسهم البلياء، محشورين في ياقاتهم الملساء، أيديهم الكبيرة المغسولة، نظرة الثور خاصتهم - أن نحس بأنه لا فائدة من الصراخ، محاولة إفهامهم بأنهم يتصرفون مثل العبيد و سيفعلون كل ما يطلب منهم بدقة، دون معرفة إن كان ذلك جيداً أو سيئاً... و التالم؟ سنضطر للتالم، دون القول أن الألم يزداد و أنه بلغ حداً ما عاد يطاق و أنه يجب أن يتوقف لكنه يستمر و يزداد حدة كصوت رفيع... اوه! لا أستطيع... لا أستطيع...

أونتيغون

كم فكرت ملياً في كل شيء!

إسمين

طوال الليل. ألم تفعل؟

أونتيغون

بلى، بالتأكيد.

إسمين

أتعرفين؟ أنا لست شجاعة جداً.

أونتيغون، بروية.

و لا أنا، لكن ما هم ذلك؟

هناك صمت، تسل إسمين فجأة.

إسمين

إذا فائت لا ترغبين في العيش؟

أونتيغون، تهمس.

لا أرغب في العيش، من التي نهضت قبل الأخرى في الصباح فقط لتشعر بالهواء البارد على بشرتها العارية؟ من التي نامت بعد الأخرى فقط عندما أنهكتها التعب كي تعيش أكثر في الليل؟ من التي بكت في صغرها و هي تفكّر أن هناك حشرات صغيرة كثيرة و الكثير من العشب في المرج الذي لا يمكننا أخذة؟

إسمين، باندفاع مفاجئ نحوها.

أختي الصغيرة.

أونتيغون، تعدل و تصرخ.

آه، لا! دعيني! لا تداعبني! دعينا لا نبكي معا الآن! قلت بأنك فكرت ملياً؟ تظنين أن المدينة كلها تصرخ في وجهك، تظنين بأن الألم و الخوف من الموت كافيان؟

إسمين، تخفض رأسها.

نعم.

أونتيغون

استعملني هذه الذرائع.

إسمعين، تتدفع نحوها.

أرجوك يا أونتيغون! إن الرجال هم من يناسبهم الإيمان بالأفكار و الموت
من أجلها. أنت فتاة.

أونتيغون، بضم أسنانها.

فتاة، نعم. و بكى بما يكفي لأنني فتاة!

إسمين

إن مساعدتك هنا أمامك و ليس عليك سوى أخذها، أنت مخطوبة، أنت شابة
و جميلة...

أونتيغون، بضم.

لا، لست جميلة.

إسمين

لست جميلة مثلنا، لكن بشكل مختلف. تعرفين جيدا بأن الزقاقيين الصغار
ينظرون إليك في الشارع و أن الفتيات الصغيرات ينظرن إليك و أنت
تمررين، بعد أن يخرسن فجأة من دون أن يفارقنك بعيونهن إلى أن تعبري
الزاوية.

أونتيغون، تبدي ابتسامة صغيرة و خفيفة.

زقاقيون، فتيات صغيرات...

إسمين، بعد مدة.

و إيمون يا أونتيغون؟

أونتيغون، جادة.

سأكلم إيمون لاحقا: سيصبح إيمون لاحقا مسألة محلولة.

إسمين

أنت مجنونة.

أونتيغون، تبتسم.

لطالما قلت لي بأنني مجنونة، في كل شيء و دانما. عودي إلى النوم يا إسمين... طلع النهار الآن، هل رأيت؟ و على أي حال لن أستطيع فعل أي شيء. إن شقيقتي الميت محاط الآن بحرس كما لو نجح في أن يصبح ملكا. عودي إلى النوم. أنت شاحبة من التعب.
إسمين

و أنت؟

أونتيفون

لا أرغب في النوم... لكنني أعدك بأنني لن أتحرك من هنا قبل استيقاظك. ستحضر لي الحاضنة الطعام. عودي إلى النوم ثانية. أشرقت الشمس للتو. عيناك منق卜ستان بسبب النعاس. اذهببي...
إسمين

سوف أقمعك، أليس كذلك؟ سوف أقمعك؟ ستدعيني أكلمك من جديد؟
أونتيفون، سمعت نوعاً ما.

سأدعك تكلميتنى من جديد، نعم. سأدعكم تكلموننى جمبا. اذهببي إلى النوم الآن، أرجوك. ستكونين أقل جمالاً غدا. (ترافقها و هي تخرج بابتسامة صغيرة حزينة؛ ثم تسقط متعبة فجأة، على أحد الكراسي). مسكينة
إسمين!...

الحاضنة، تدخل.

خدي، لقد أحضرت لك القهوة و السنديريشات يا صغيرتي، كلي.
أونتيفون

لاأشعر بالجوع أيتها الحاضنة.

الحاضنة

حمصتها لك بنفسى و دهنتها بالزبدة كما تحببها.

أونتيفون

أنت لطيفة يا حاضنتي. سأشرب القليل فقط.
الحاضنة

أين تتألمين؟

أونتيفون

لا أشعر بألم في أي مكان يا حاضنتي. لكن عانقيني بحرارة كما كنت تفعلين عندما كنت مريضة... حاضنتي أقوى من الحمى، حاضنتي أقوى من الكابوس، أقوى من ظلال الخزانة التي تضحك بسخرية و تتحول على الجدار على مدار الساعة، أقوى من ألف حشرات الصمت التي تقضم شيئاً في مكان ما في الليل، أقوى من الليل في حد ذاته مع صوت المجنونة الذي لا نسمعه؛ حاضنتي أقوى من الموت. أعطني يدك كما تفعلين عندما تبقين قرب سريري.

الحاضنة

ما بك يا صغيرتي الحلوة؟

أونتيفون

لا شيء يا حاضنتي. لكنني ما زلت صغيرة و لا أستطيع تحمل كل هذا. لكنك الوحيدة التي يجب عليها أن تعلم ذلك.

الحاضنة

ما زلت صغيرة على ماذا يا صغيرتي؟

أونتيفون

لا شيء يا حاضنتي، كما أنك هنا. أمسك بيديك الخشنة و الطيبة التي تنقذني من كل شيء دوماً، أعرف هذا جيداً. ربما ستتفذنني من جديد. أنت قوية جداً يا حاضنتي.

الحاضنة

ما الذي تريدين أن أفعله من أجلك يا عزيزتي؟

أونتيفون

لا شيء يا حاضنتي. ضعي فقط يدك هنا على خدي. (تبقى مغمضة عينيها للحظة.) هكذا، ما عدت خائفة. لا من الغول الشرير و لا من «

أبي كيس»، لا من «تاوتاوا» الذي يمر و يأخذ الأطفال... (صمت آخر، تكمل بنبرة أخرى.) هل تعلمين يا حاضنتي؟ كلبتي دوس...
الحاضنة

نعم

أونتيفون

ستعدينني بلا تعودي لتوبيخها.

الحاضنة

لا يجب إدخال حيوان يوشخ كل شيء بقرانه إلى البيت!

أونتيفون

حتى ولو كانت توشخ كل شيء. عيني يا حاضنتي.

الحاضنة

يجب على إذن أن أدعها تفسد كل شيء دون قول شيء؟

أونتيفون

نعم يا حاضنتي.

الحاضنة

آه! سيكون هذا قويا بعض الشيء!

أونتيفون

أرجوك، يا حاضنتي. أنت تحبين دوس برأسها الكبير الجيد. كما أنك في أعماق قلبك، تحبين الفرك كذلك. ستكونين تعيسة جدا إذا بقي كل شيء نظيفا دائمـا. لذلك أنا أطلب منك هذا: لا توبخـها.

الحاضنة

و إذا تبولـت على سجادـاتي؟

أونتيفون

عينـي بأنـك لن تـوبـخـها رـغمـ ذلكـ أـرجـوكـ قولـيـ أـرجـوكـ ياـ حـاضـنـتـيـ...

الحاضنة

أنت تستغلين من تداعبينه... حسناً. أنا موافقة. سامسح دون قول شيء.
سوف تجعليني مجنونة.

أونتيغون

ثم عدبني كذلك بأنك ستكلمنها، ستكلمنها غالباً.
الحاضنة، تهز كتفها.

أهذا معقول؟ الكلام مع الحيوانات!

أونتيغون

و بالذات ليس كحيوان. كشخص حقيقي، كما ترينني أفعل...
الحاضنة

آه! لا! في سني هذا، أتصرف كالحمقاء! لكن لماذا تريدين أن يتحدث كل
من في المنزل إلى هذا الحيوان مثلك؟

أونتيغون، بروية.

إذا أنا، لسبب أو لآخر، لم أعد أستطيع التكلم معها...
الحاضنة، التي لم تفهم.

عدم التكلم معها، عدم التكلم معها؟ لماذا؟

أونتيغون، تدير رأسها قليلاً ثم تصيف، بصوت قوي.

لذلك، إذا كانت حزينة جداً، إذا كان يبدو عليها الانتظار رغم ذلك، -
واضعة أنفها تحت الباب كما تفعل عندما أخرج، - ربما سيكون من
الأفضل قتلها، يا حاضنني، دون أن تحس بالألم.

الحاضنة

قتلها، يا جميلتي؟ قتل كلبك؟ أنت مجنونة هذا الصباح!

أونتيغون

لا، يا حاضنتي. (يظهر إيمون.) ها هو إيمون. دعينا يا أيتها **الحاضنة**. و
لا تنسِ ما وعدتني به.

خروج الحاضنة

أونتيغون، تجري إلى إيمون.

عذرا، يا إيمون، على شجارنا ليلة أمس و على كل شيء. كنت المخطئة،
أرجوك أن تسامحي.

إيمون

تعرفين جدا بأنني سامحتك. ما ان صفت الباب. كان عطرك ما يزال
موجودا و كنت قد سامحتك. (يمسكها بين ذراعيه، يبتسم، ينظر إليها.)
من سرقت هذا العطر؟

أونتيغون

من إسمين.

إيمون

و أحمر الشفاه، البويرة و الفستان الجميل؟

أونتيغون

منها أيضا.

إيمون

على شرف من تجلت إلى هذا الحد؟

أونتيغون

سأخبرك بذلك. (تضمه بشدة بعض الشيء.) أوه! يا حبيبي، كم كنت
غبية! هدرت أمسية بكميلها. أمسية جميلة.

إيمون

سنمضي أمسيات أخرى، يا أونتيغون.

أونتيغون

ربما لا.

إيمون

و شجارات أخرى، أيضا. إن السعادة مليئة بالشجرات.

أونتيغون

السعادة، نعم... اسمع يا إيمون.

إيمون

نعم.

أونتيغون

لا تضحك هذا الصباح. كن جديا.

إيمون

أنا جدي.

أونتيغون

و ضمني إليك. أقوى من أي وقت مضى. فلتقطبع كل قوتك في.

إيمون

أضنك بكل قوتي.

أونتيغون، بنفس.

هذا جيد. (يبقىان صامتين للحظة ثم تبدأ بروية.) اسمع، يا إيمون.

إيمون

نعم.

أونتيغون

كنت أود أن أقول لك هذا الصباح... بأن الصبي الصغير الذي ستنجبه

معا...

إيمون

نعم

أونتيغون

أتعلم؟ كنت لأحمسه من كل شيء.

إيمون

نعم، يا أونتيغون.

أونتيغون

أوه! كنت لأضمه بقوه فلا يعود يشعر بالخوف، أقسم لك. لا من المساء الذي سيحل، و لا من القلق حيال الشمس الساطعة الساكنة، و لا من الظلال... ابننا الصغير، يا إيمون! كانت ستكون له والدة صغيرة شعثاء، لكن أكثر أمانا من كل أمهات العالم الحقائق بصدرهن الحقيقة و وزراتهن الكبيرة. أنت تعتقد هذا، أليس كذلك؟

إيمون

نعم يا حبيبي.

أونتيفون

و أنت تعتقد أيضا بأنك كنت ستحصل على زوجة حقيقة، أليس كذلك؟
إيمون، يمسك بها.

لكنني أملك زوجة حقيقة.

أونتيفون، تصرخ فجأة، تغل في أحضانه.

أوه! كنت تحبني يا إيمون، كنت تحبني، أنت متأكد من ذلك في ذلك المساء؟

إيمون، يهددها بلطف.

أي مساء؟

أونتيفون

أنت متأكد من أنه في تلك الحفلة الراقصة عندما أتيت لتأخذني من زاويتي، لم تخطئ باختيار الشابة؟ أنت متأكد من أنك لم تندم قط منذ ذلك الوقت، لم تفكر قط في قراره نفسك حتى ولو لمرة واحدة بأنه كان عليك أن تخطب إسمين؟

إيمون

غبية!

أونتيفون

أنت تحبني، أليس كذلك؟ تحبني كامرأة؟ لا تكذب ذراعك اللتان تعانقاني؟ لا تكذب يداك الكبيرتان الموضوعتان على ظهري، و لا

راحتلك، و لا هذه التحية، و لا هذه الثقة الكبيرة التي تغمرني عندما أضع
رأسى في باطن عنقك؟

إيمون

نعم، يا أونتيغون، أحبك كامرأة.

أونتيغون

لكنني سوداء و نحيلة. و إسمين زهرية و ذهبية كالفاكهـة.
إيمون، يهمـس.

أونتيغون...

أونتيغون

أوه! وجنتـاي حمراوتـان لشـدة خـجيـليـ. لكنـ يجبـ أنـ أـعـرفـ هـذـا الصـباـحـ، قـلـ
الـحـقـيقـةـ أـرجـوكـ. عـنـدـمـاـ تـفـكـرـ أـنـنـيـ سـأـصـبـحـ لـكـ، هـلـ تـشـعـرـ فـيـ قـرـارـةـ ذـاتـكـ
بـأـنـ حـفـرـةـ كـبـيرـةـ تـتـبـقـ وـ كـأـنـ شـيـناـ مـاـ يـمـوتـ.

إيمون

نعم، يا أونتيغون.

أونتيغون، دفعـةـ وـاحـدةـ، بـعـدـ مـدـةـ.

أـناـ أـحسـ بـهـذـاـ الشـعـورـ وـ كـنـتـ أـوـدـ أـنـ أـقـولـ لـكـ بـأـنـيـ كـنـتـ لـأـخـرـ كـثـيرـاـ بـأـنـ
أـصـبـحـ زـوـجـتـكـ، زـوـجـنـكـ الـحـقـيقـةـ، التـيـ كـنـتـ لـتـضـعـ يـدـكـ عـلـيـهاـ فـيـ المـسـاءـ
عـنـدـمـاـ تـجـلـسـ بـلـأـ تـفـكـيرـ وـ كـأـنـهـ شـيـءـ تـمـلـكـهـ حـقاـ. (تـحرـرـتـ مـنـهـ، غـيـرـتـ
نـبـرـهـاـ). وـ الـآنـ، سـاقـلـ لـكـ أـمـرـيـنـ آخـرـيـنـ. وـ بـعـدـ أـنـ أـقـولـهـماـ لـكـ، يـجـبـ أـنـ
تـخـرـجـ مـنـ دـوـنـ أـنـ تـسـأـلـيـ. حـتـىـ وـ لـوـ بـدـيـاـ لـكـ اـسـتـثـنـاـئـيـنـ، حـتـىـ وـ لـوـ
أـحـزـنـكـ. أـقـسـ لـيـ.

إيمون

ماـذـاـ سـتـقـولـيـ لـيـ بـعـدـ؟

أونتيغون

أـقـسـ لـيـ أـوـلـاـ بـأـنـكـ سـتـخـرـجـ مـنـ دـوـنـ أـنـ تـقـولـ لـيـ شـيـناـ. وـ مـنـ دـوـنـ أـنـ تـنـظـرـ
إـلـيـ حـتـىـ. إـذـاـ كـنـتـ تـحـبـنـيـ فـأـقـسـ لـيـ. (تـنـظـرـ إـلـيـهـ بـوـجـهـهـ الـمـسـكـيـنـ الـمـنـأـثـرـ).

هل ترى كيف أطلب منك ذلك؟ أقسم لي، أرجوك يا إيمون... هذه آخر نزوة سيكون عليك أن تتقبلها مني.
إيمون، بعد مدة.

أقسم لك.

أونتيغون

شكرا. إذن اسمع، أولا بالأمس، سألتني قبل قليل لما أتيت بفستان إسمين وعطرها وأحمر الشفاه خاصتها. كنت غبية. لم أكن متأكدة حقا من أنك ترغب في حقا و فعلت كل هذا كي أشبه الفتيات الآخريات، كي أجعلك ترغب في.

إيمون

أفعلت ذلك لهذا السبب.

أونتيغون

نعم. و صحيكت و شاجرنا و كان طبيعي السيئ هو الأقوى، هربت. (تصيف بصوت أقل حدة.) لكنني كنت قد أتيت إلى بيتك كي تحظى بي ليلة أمس، كي أصبح زوجتك مسبقا. (تتراجع، ستتكلم، تصرخ.) لقد أقسمت لي بآلا تسألني عن السبب، لقد أقسمت، يا إيمون! (تقول بصوت منخفض، بتواضع.) أرجوك... (و تصيف، ملتفة و صارمة.) على آية حال، سأقول لك، ودلت أن أكون زوجتك رغم كل شيء لأنني أحبك هكذا، أنا، بقوة كبيرة و باذني - سأحزنك، حبيبي، سامحني! - لن أتمكن أبدا من الزواج بك. (بقي صامتا من الحيرة، تجري إلى النافذة، تصرخ.) أقسمت لي يا إيمون! أخرج، أخرج على الفور دون قول شيء. إذا تكلمت، إذا مشيت خطوة واحدة نحو يسارمي نفسي من هذه النافذة، أقسم لك، يا إيمون. أقسم لك بذلك على رأس الصبي الصغير الذي أنجبناه معا في الحلم، الصبي الصغير الوحيد الذي سانجبه. ارحل الآن، ارحل بسرعة. ستعرف غدا، ستعرف بعد قليل. (ختمت بيأس شديد لدرجة أن إيمون أطاع و ابتعد.) ارحل، أرجوك يا إيمون. هذا كل ما يزال في وسعك فعله

من أجيلى إذا كنت تحبني. (خرج. بقيت دون حراك، تسند ظهرها إلى القاعة، ثم تغلق النافذة، تجلس على كرسي صغير وسط الخشبة، و تقول بهدوء، كما لو كانت قد هدأت بغرابة.) تم الأمر. انتهى الأمر بالنسبة لايمن و اونتيغون.

إسمين، دخلت و هي تنادي.

أونتيغون!.. آه، أنت هنا!

أونتيغون، دون أن تتحرك.

نعم أنا هنا.

إسمين

لم أستطع النوم. خشيت أن تخرجي و تحاولي دفعه في وضح النهار. شقيقتي الصغرى أونتيغون، جمبعنا هنا من حولك، أنا، إيمون و الحاضنة، و كلبتاك دوس... نحبك و نحن أحيا، إننا في حاجة إليك. لقد مات بولينيس و لم يكن يحبك. لطالما كان غريبا بالنسبة إلينا، شقيقا سينا. انسيه يا أونتيغون كما كان قد نسينا. دعي ظله القاسي يهيم إلى الأبد من دون قبر بما أنه قانون كريون. لا تحاولي فعل ما لا طاقة لك به. أنت تتحدين كل شيء دوما، لكنك صغيرة جدا يا أونتيغون. ابقي معنا، لا تذهب إلى هناك هذه الليلة، أتوسل إليك.

أونتيغون، نهضت، بابتسامة صغيرة غريبة على شفتيها، تتجه نحو الباب
و من العتبة، تقول بهدوء:

لقد فات الأوان. هذا الصباح، عندما التقיתי، كنت عائدة من هناك.

خرجت، تتبعها إسمين بصرخة:

إسمين

أونتيغون!

ما إن خرجت إسمين حتى دخل كريون من باب آخر مع غلامه.

كريون

أقلت حرس؟ أحد أولئك الذين يحرسون الجثة؟ دعه يدخل.

يدخل الحارس. إنه ضخم. إنه شاحب من الخوف الآن.
الحارس، يقدم نفسه بتحية «انتباه»
الحارس جوناس من السرية الثانية.

كريون

ماذا تريده؟

الحارس

إليك يا قائد. أجرينا قرعة لنعرف من سيأتي و تم اختيار اسمي. لذلك أتيت
يا قائد لأننا اعتبرنا أن من الأفضل أن يكون هناك من يفسر و لأننا لم
نستطع مغادرة المركز نحن الثلاثة. إننا الثلاثة الذين يحرسون الجنة أيها
القائد.

كريون

ما الذي تريده إخباري به؟

الحارس

إننا ثلاثة أيها القائد، أنا لست وحيداً. الآخرون هم ديجون و حارس الدرجة
الأولى بودوس.

كريون

لماذا لم يأتي حارس الدرجة الأولى؟

الحارس

أليس كذلك أيها القائد؟ لقد قلت ذلك في الحال، أنا. إن حارس الدرجة
الأولى هو من عليه الذهاب. عندما لا يكون هناك رتب، إن حارس
الدرجة الأولى هو المسئول. لكن الآخرين رفضوا و فضلوا إجراء
القرعة. هل يجب أن أذهب لاستدعاء حارس الدرجة الأولى، أيها القائد؟

كريون

لا، أخبرني أنت، بما أنك أتيت.

الحارس

لدي سبعة عشر عاما من الخدمة. تم تعييني تطوعيا، الميدالية، توصيتان.
لدي نقط جيدة، يا قائد. أنا « خدمة ». لا أعرف سوى الأوامر. يقول
رؤساني دانما: « إننا مرتاحون مع جوناس. »
كريون

حسنا. تكلم. مم انت خائف؟

الحارس

حسب النظام، كان يجب أن يأتي حارس الدرجة الأولى. أنا ترشحت
لأرقي إلى الدرجة الأولى؛ لكنني لم أرقى بعد. يجب أن أرقى في
حزيران (يونيو).

كريون

هل ستتكلم في الأخير؟ إن حصل شيء فأنتم الثلاثة مسؤولون. كف عن
البحث عنمن يجب أن يكون هنا.

الحارس

اسمع يا قائد، الجنة... مع أننا سهرنا، كنا مكلفين بمناوبة الساعة الثانية،
أصعب واحدة. أنت تعرف الوضع عندما يشارف الليل على الانتهاء، التقل
بين العينين، تشنج العنق و كل هذه الظلال التي تتحرك و ضباب الفجر...
آه! أحسنوا اختبار وقتهم!... كنا هناك نتحدث و نضرب الأرض بأقدامنا
لتدعها... لم نكن نائمين يا قائد، يمكننا أن نقسم لك نحن الثلاثة بأننا لم نكن
نائمين! على أي حال، مع ذلك البرد القارس... فجأة، نظرت إلى الجنة...
كنا على بعد خطوتين و مع ذلك كنت أنظر إليها من حين لآخر... هذه هي
طبيعتي يا قائد، أنا شديد التدقير في التفاصيل. لذا يقول رؤساني: « مع
جوناس... » (أوقفته حركة من كريون، يصرخ فجأة.) أنا أول من رأى
ذلك يا قائد! سيقول لك الآخرون بأنني أول من أطلق صفاره الإنذار.

كريون

صفاره الإنذار؟ لماذا؟

الحارس

الجنة يا قائد. كان أحدهم قد غطاه! ليس كثيراً. لم يكفه الوقت لوجوننا على مقرية. القليل من التراب فحسب... لكن ما يكفي لإخفائها عن الصور.

كريون، يتوجه نحوه.

هل أنت متأكد من أنه لم يكن حيواناً يحفر فقط؟
الحارس

لا يا قائد. هذا ما اعتقده في البداية، نحن كذلك. لكن التراب رمي عليه حسب الطقوس. لقد كان شخصاً يعرف ما يفعله.

كريون

من تجرأ؟ من كان مجذوناً بما يكفي لتحدي قانوني؟ هل رفعت آثاراً؟
الحارس

لا شيء، يا قائد. لا شيء أكثر من خطوة أكثر خفة من مرور طائر. لاحقاً، بعد بحث مكثف، وجد الحارس ديرون رفشاً على مسافة أبعد، رفشاً أطفالاً صغيراً، قديم جداً وصدى. ظلنا أئمه من المستحيل أن يكون طفل قد قام بال فعلة. ومع ذلك فقد احتفظ به حارس الدرجة الأولى من أجل التحقيق.

كريون، يحلم قليلاً.

طفل... المعارضة المهزومة التي تتبثق و تندثر في كل مكان. أصدقاء بولينيس مع أنصارهم العالقين في طيبة، قادة السهل الذين تفوح منهم رائحة الثوم و الذين تحالفوا مع الأمراء فجأة، و الكهنة الذين يحاولون التبشير بشيء ما وسط كل هذا... طفل! لا بد من أنهم ظنوا بأن ذلك سيكون مؤثراً أكثر. أنا أراه من هنا، طفلهم مع بوجه القاتل المأجور خاصته و الرفشد الصغير المغلف بتأن بورق تحت سترته. إلا إذا كانوا قد دربوا طفلًا حقيقياً، بجمل... براءة لا تقدر بثمن بالنسبة للحزب. طفل صغير، حقيقي وشاحب سيصدق أمام بنادقي دماً ثميناً طازجاً على يدي،

هذه نعمة مضاعفة. (يتجه نحو الرجل.) لكن لديهم شركاء و في حرسى ربما. اسمع جيدا، أنت...

الحارس

أيها القائد، لقد فعلنا كل ما يجب فعله! جلس ديعون نصف ساعة لأن قدميه كانتا تؤلمانه، لكن أنا، يا قائد، بقيت راقفا طوال الوقت. سيخبرك حارس الدرجة الأولى بهذا.

كريون

من أخبرتموه بهذا الموضوع؟

الحارس

لا أحد يا قائد. أجرينا القرعة في الحال وأتيت.

كريون

اسمعني جيدا، ستنتم مضاعفة وقت حراستكم. أطرب المناوبة. هذه أوامرني: لا أريد غيركم قرب الجثة. لا تلفظ أي كلمة، أنتم متهمون بالإهمال؛ ستتعاقبون على أي حال، لكن إذا تكلمت، إذا انتشر الخبر في المدينة بأن هناك من غطى جثة بولينيس فستتموتون أنتم الثلاثة.

الحارس، يصريح.

لم نتكلم يا قائد، أقسم لك! لكتني كنت هنا و ربما أخبر الآخرين المناوبة بالأمر... (يتعرق بشدة، يتلعثم) يا قائد، لدى طفلان أحدهما صغير جدا. ستشهد لي بأنني كنت هنا يا قائد، أمام المجلس العسكري. كنت معك هنا يا قائد. لدى شاهد إذا تكلم أحد، فلا بد من أنهم الفاعلان و ليس أنا، لدى شاهدا أنا.

كريون

اذهب بسرعة. إن لم يعلم أحد فستعيش. (يخرج الحارس جريا. يبقى كريون صامتا للحظة. فجأة، يهمس.) طفل... (أمسك الغلام الصغير من كتفه.) تعل أيها الصغير. يجب أن نذهب لنحكي كل هذا الآن... و من تم سبباً العمل الجميل. هل كنت تلقدني بحياتك، أنت؟ هل تظن بأنك ستدفع

مع رشك الصغير؟ (ينظر إليه الصغير. يخرج برفقته و هو يداعب رأسه). نعم، بالتأكيد، كنت لتذهب على الفور، أنت كذلك... (نسمعه يتنهد من جديد و هو يخرج). طفل...

لقد خرجا، يدخل الممهد.

المعهد

و هكذا، لقد حسم القدر و يكفي أن يحصل بمفرده، هذا هو الأمر المرير في التراجيديا، نعطي دفعة صغيرة كي تبدأ القصة، لا شيء، نظرة خلال ثانية واحدة لفتاة تمر و ترفع ذراعيها في الشارع، رغبة في الشرف ذات صباح، عند الاستيقاظ، مثل شيء يؤكل، سؤال إضافي نطرحه ذات مساء... و هذا كل شيء. بعدها، يكفي أن ندع الأحداث تتسلسل. نحن مرتابون، إنها تجري تلقائيا. إنها دقيقة جدا، و مضبوطة جيدا منذ البداية. إن الموت، الخيانة و اليأس هنا، على مقربة، و الانفجارات، و العواصف، و الصمت، كل أنواع الصمت: الصمت عندما يرفع الجلد ذراعه في النهاية، الصمت في البداية عندما يقف العاشقان عاريين الواحد بوجه الآخر لأول مرة، دون أن يتجرأ على الحركة في الحال، في الغرفة المظلمة، الصمت عندما يعلو صراخ الحشد من حول المنتصر – و يبدو مثل فيلم تعطل صوته، كل تلك الأفواه المفتوحة التي لا يخرج منها شيء، كل هذه الجلبة التي ليست سوى صورة، و المنتصر الذي قهر وحيدا وسط صمته...

إن التراجيديا نظيفة، إنها مريحة، إنها مضمونة... في المأساة مع هؤلاء الخونة و الأشرار المتمررين، هذه البراءة المضطهدة، هزلاء المنتقمون، هذه الأرضي الجديدة، شعلات الأمل هذه، يصبح الموت فظيعا، كأنه حادث. لربما كان باستطاعتنا الهرب، لربما كان يسع الشاب الطيب الوصول قبل فوات الأوان مع الدرك. في التراجيديا، نحن مطمئنون. أولا، نحن فيما بيننا. و جمبعنا أبرياء باختصار! ليس لأن أحدهم يقتل و شخص آخر يقتل. إنها مسألة توزيع أدوار. و بالأخص، إن التراجيديا مريحة لأننا

نعرف أن الأمل مفقود، الأمل الفذر، أنتا علقنا، أنتا علقنا كالجرذ أخيراً، مع كل المصائب التي هبطت عليه، وبأنه لم يعد أمامنا سوى الصراخ، - لا أن نوح أو نشتكي، - أن نصرخ باعلى صوتنا بما أرتنا قوله، ما لم نقله قط و الذي لربما لم نعرفه بعد. و من دون سبب: لكي نقوله لأنفسنا، لنعرفه نحن. في الدراما، نتختبط لأننا نأمل الخروج. هذا فظيع، هذا مفید، لكن هذا مجاني هنا. إنه للملوك، لم يعد من الممكن تجربة أي شيء، أخيراً.

دخلت أونتيغون و الحراس بدفعونها

الممهد

و هكذا، ستبدأ القصة. تم القبض على أونتيغون الصغيرة. ستتمكن أونتيغون الصغيرة من التصرف على سجيتها لأول مرة.
يختفي الممهد بينما يدفع الحراس أونتيغون إلى الخشبة.
الحراس، الذي استعاد كل ثقته في نفسه.

هيا، هيا، ما من مشاكل، ستفسرين فعلتك أما القائد. أنا لا أتفذ سوى الأوامر، لا أريد معرفة ما كنت تفعلينه هناك، لدى الجميع أذار. لدى الجميع احترامات. لو كان على الإصغاء إلى الناس و محاولة الفهم لما انتهيت من ذلك. هيا، هيا، أمسكا بها، أنتما الإثنان و من دون مشاكل! لا أريد معرفة ما ت يريد قوله!

أونتيغون

قل لهم أن يفلتاني فهم يؤلماني بأيديهما القدرة.
الحراس

أيديهما القدرة؟ كان بإمكانك أن تكوني مهذبة يا آنسة... أنا مهذب.

أونتيغون

قل لهم أن يفلتاني. أنا ابنة إديب، أنا أونتيغون و لن أهرب.
الحراس

ابناء اديب، نعم! إن البغاليا اللواتي نقبض عليهن خلال الحراسة الليلية يخبرننا أيضا بالاحتراس، لأنهن صديقات مدير الشرطة الحميمات!
يضحكون.

أونتيغون

أفضل الموت على أن يلمساني!

الحارس

و الجثث و التراب، قولي لي، ألا تخافين من لمسها؟ تقولين « أيديهما الفدراة » ! انظري قليلا إلى يديك.

تنظر أونتيغون إلى يديها المكبلتين بالأصفاد بابتسامة صغيرة. إنهم ملبيتان بالتراب.

الحارس

عندما أخذنا رشك، اضطررت إلى الحفر بأظافرك في المرة الثانية؟ آه ! هذه الجرأة، أدير ظهري لثانية واحدة، أطلب منك قطعة تبغ، و عندما أضعها في خدي و أشكرك كانت قد عادت و تحفر مثل ضبعة صغيرة و في وضح النهار ! و راحت هذه الساقطة تتخطى بقوة عندما أرددت القبض عليها! أرادت الانقضاض على عيني ! كانت تصرخ بأنه كان يجب عليها أن تكمل... إنها مجنونة، نعم.

الحارس 2

لقد أمسكت بمجنونة أخرى، في ذلك اليوم. كانت تكشف مؤخرتها للناس.

الحارس

قل، يا بودوس، ما الذي سنشتريه ثلاثتنا من أجل وليمة الاحتفال بهذا !

الحارس 2

لدى الملتوية. يبيعون نبيذا جيدا.

الحارس 3

لدينا ربع يوم حر يوم الأحد. لما لا نصطحب النساء؟

الحارس

لا، عندما نكون بيننا نضحك... مع النساء، دائمًا هناك مشاكل، ثم هناك الأطفال الذين يريدون التبول. آه! قل، يا بودوس، قبل قليل، لم نكن نعتقد بأننا سنرغب في الضحك هكذا، نحن!

الحارس 2

ربما يمنحوننا مكافأة.

الحارس

هذا وارد، إذا كان الأمر مهمًا.

الحارس 3

لقد حصل فلونشار، من الفرقة الثالثة، على راتب مضاعف عندما أمسك بمشعلة الحرائق في الشهر الماضي.

الحارس 2

آه، قل لي إذن! إذا حصلنا على راتب مضاعف، أقترح: بدل الذهاب إلى الملتوية، فلنذهب إلى القصر العربي.

الحارس

من أجل الشرب؟ أنت مجنون؟ إنهم يبيعون لك القنيمة بضعف ثمنها في القصر. من أجل الشرب، حسنا. اسمعاني، سأقول لكما: أولاً سذهب إلى الملتوية، سنأكل كما ينبغي ثم بعد ذلك نذهب إلى القصر. قل، يا بودوس، هل تذكر سميحة القصر؟

الحارس 2

آه! كم كنت ثملاً، أنت، في ذلك اليوم!

الحارس 3

لكن إن ضوعف راتبنا فستعلم زوجاتنا بالأمر. من الممكن أن تتم تهنتنا علينا.

الحارس

إذن سوف نرى. إن الضحك شيء آخر. إن كانت هناك مراسيم في الثكنة، مثل تلك التي تقام عند الزينة، فستأتي النساء أيضاً و الصبيان. و هكذا سنذهب كلنا إلى الملوية.

الحارس 2

نعم، لكن يجب أن نطلب منه اللائحة مسبقاً.
أونتيغون، تطلب بصوت خافت.

أريد الجلوس قليلاً، من فضلك.

الحارس، بعد مدة من التفكير.

حسناً، فلتجلس، لكن لا تغلقها، أنتما الإثنان.
يدخل كرييون، يصرخ الحارس في الحال.

الحارس

تأهب!

كرييون، توقف، متفاجناً.

أفلتا هذه الشابة، ما الأمر؟

الحارس

إننا حراس الجنة، يا قائد. لقد جتنا جميعنا.

كرييون

من يحرس الجنة؟

الحارس

لقد استدعيينا المعاونة، يا قائد.

كرييون

قلت لك أن تصرفهم! سبق و أخبرتك بـلا تخبر أحداً.

الحارس

لم نخبر أحداً، يا قائد. لكن بما أننا ألقينا القبض على هذه الفتاة، فكرنا أنه علينا المجيء. لكن هذه المرة لم نجري القرعة. فضلنا أن نأتي ثلاثة.

كرييون

أغبياء! (لأننيغون). أين تم اعتقالك؟

الحارس

قرب الجنة يا قائد.

كريون

ما الذي ذهبت لتفعليه قرب جنة شقيقك؟ كنت تعلمين بأنني منعت الاقتراب منها.

الحارس

ما كانت تفعله يا قائد؟ لذلك أحضرناها إليك. كانت تحفر التراب بيديها. كانت تحاول دفعه من جديد.

كريون

هل أنت مدرك لما تقوله؟

الحارس

يا قائد، يمكنك أن تسأل الآخرين. لقد كانت الجنة مكتشفة عند عودتي؛ لكن نظراً للشمس التي ارتفعت حرارتها، جلسنا على ربوة صغيرة في مكان قريب ليبلغنا نسيم الهواء. قلنا بأنه ما من خطر في وضح النهار؛ لكن حرصاً منا على التأكد أكثر فرقنا أن أحدنا نحن الثلاثة سيراقبها دوماً. لكن عند الظهيرة، تحت الشمس الساطعة، و بسبب الرانحة التي فاحت مع هبوب الرياح. كان ذلك أشبه بضربة عنيفة. رغم أنني جحظت عيني، كانتا ترتجفان بقوة، عجزت عن الرؤية. ذهبت إلى رفيقي لأطلب منه مضغة تتبع كي أتجاوز هذه المرحلة... بينما كنت أضعها في فمي وأقول له: شكراء، استررت فوجدتها تحفر بيديها في وضح النهار! لا بد من أنها كانت تعرف أننا سنراها حتماً. و عندما رأته أجري نحوها، هل تظن بأنها توقفت و حاولت الهرب؟ لا. تابعت فعل ذلك بكل قواها و بأقصى سرعة، كأنها لم ترني و أنا قادم. و عندما أمسكت بها، راحت تتخبط كالجنونة، كانت ت يريد المتابعة، كانت تتسلل إلي أن أتركها لأن الجنة لم تكن مغطاة بالكامل...

كريون

أهذا صحيح؟

أونتيغون

نعم، هذا صحيح.

الحارس

كشفنا الجنة و سلمنا المناوبة الحراسة دون التحدث عن شيء، و أتينا كي
نقادها إليك يا قائد، هذا كل شيء.

كريون

و الليلة، لأول مرة، هل كنت الفاعلة أيضا؟

أونتيغون

نعم، كنت الفاعلة. برفش حديدي صغير كنا نستعمله لبناء قصور رملية
على الشاطئ خلال العطلة. لقد كان رفsh بولينيس. كان قد نقش اسمه
بالسكين على المقابض. لذلك تركته قربه، لكنهم أخذوه لذلك في المرة
الثانية، اضطررت للحفر بيدي.

الحارس

كانت تبدو كحيوان يحفر، من أول نظرة و بسبب الهواء الساخن الذي كان
يهب، قال الرفيق: « لا، إنه مجرد حيوان. » « قلت له: هل تظن ذلك
حقا؟ إنه رقيق بالنسبة لحيوان. إنها فتاة. »

كريون

هذا جيد، قد أطلب منكم تقريرا بعد قليل. في الوقت الحاضر، اتركوني
 بمفردي معها. أيها الصغير! خذ هؤلاء الرجال إلى الغرفة المجاورة و
ليبقوا هناك سرا إلى أن أعود لرؤيتهم.

الحارس

هل يجب وضع الأصفاد من جديد، يا قائد؟

كريون

لا.

خرج الحراس و الغلام الصغير يسبقهم. إن كريون و أونتيغون لوحدهما،
الواحد بوجه الآخر.

كريون

هل كلمت أحدا عن خطنك؟

أونتيغون

لا.

كريون

هل التقى أحدا في طريقك؟

أونتيغون

لا، لا أحد؟

كريون

هل أنت متأكدة؟

أونتيغون

نعم

كريون

إذن أصغي إلى جيدا: ستعودين إلى بيتك و تتمامين، ستقولين بأنك مريضة
و لم تخرجي منذ يوم أمس. ستقول حاضنتك نفس الكلام. ساتخلص من
هؤلاء الرجال الثلاثة.

أونتيغون

لماذا؟ بما أنك تعرف أنني سأعود فعلتي.
هناك صمت. إنهم ينظرون لبعضهما.

كريون

لم حاولت دفن شقيقك؟

أونتيغون

كان علي فعل ذلك.

كريون

لقد منعت ذلك.

أونتيغون

حتى و لو، فقد كان علي فعل ذلك. إن الذين لا ندفهم، يهيمون إلى الأبد من دون أن يرتحوا. لو كان شقيقـي ما يزال حـيا و عـاد إلى الـبيـت متـعبـا بعد رـحلـة صـيد طـوـيلـة، كـنـت لـأنـزـع حـذـاءـه و أـطـبـخ لـه الطـعـام، أحـضـر لـه سـرـيرـه... الـيـوم أـنـهـي بـولـينـيـس رـحلـة صـيدـه و عـاد إـلـى الـبيـت حـيث يـنـتـظـرـه أبيـ، أمـيـ و إـتـيـوكـلـ أيضـاـ، مـنـ حـقـهـ آنـ يـرـتـاحـ.

كريون

كان ثـانـرا و خـانـنا، كـنـت تـعلـمـين ذلك.

أونتيغون

كان شـفـيقـيـ.

كريون

سمـعـتـ ذلك التـصـرـيجـ قـبـلـ أـيـامـ عـنـدـ مـلـقـىـ الـطـرـقـ، قـرـأـتـ المـلـصـقـ عـلـىـ كـلـ جـدـرـانـ الـمـدـيـنـةـ؟

أونتيغون

نعمـ.

كريون

كـنـتـ تـعـرـفـينـ الـمـصـيرـ الـذـيـ كـانـ يـنـتـظـرـ الشـخـصـ، أـيـاـ كـانـ، الـذـيـ يـتـجـرـأـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـمـرـاسـمـ دـفـهـ؟

أونتيغون

نعمـ، كـنـتـ أـعـرـفـ ذلكـ.

كريون

إـذـنـ لـعـلـكـ ظـنـنـتـ بـأـنـ كـوـنـكـ اـبـنـةـ إـدـيـبـ، اـبـنـةـ كـبـرـيـاءـ إـدـيـبـ كـانـ يـكـفـيـ لـجـعـلـكـ فـوـقـ الـقـانـونـ.

أونتيغون

لاـ، لـمـ أـعـتـقـدـ ذلكـ.

كريون

إن القانون مصنوع لك أولاً يا أونتيغون، إن القانون مصنوع أولاً لبنات الملوك!

أونتيغون

لو كنت خادمة تغسل الأواني عندما سمعت قراءة المرسوم، كنت لأمسح المياه المرهفة عن يدي و لأخرج بمتربي لأدفن شقيقتي.

كريون

ليس صحيحاً. لو كنت خادمة، لما شكت في أنك ستموتيني و كنت ستبقين في بيتك و تبكين على شقيقك، لكن كونك من عرق ملكي، ابنة أخي و خطيبة ابني جعلك تظنين بأنه مهما حصل فلن أتجرا على فتاك.

أونتيغون

أنت مخطئ، على العكس، كنت على يقين بأنك ستفتاني.

كريون، ينظر إليها، ويهمس فجأة.

هذا هو كبرباء إديب. أنت كبرباء إديب. الآن وقد رأيته في أعماق عينيك، أصبحت أصدقك. لابد من أنك ظننت بأنني سأقتلك. و بدت تلك نهاية طبيعية في نظرك أيتها المتكبرة! بالنسبة إلى والدك أيضاً - لم أصنع السعادة، كان ذلك مستحيلاً - لكن التعasse البشرية كانت قليلة جداً لأن الطبع البشري يزعج عائلتكم، تحتاجون إلى مقابلة على انفراد مع المصير و الموت. و قتل والدك و النوم مع والدتك و حفظ كل هذا حرفيًا. يا له من مشروب تلك الكلمات التي تدينكم؟ و كيف يشربها المرء بنهم عندما يكون اسمه إديب أو أونتيغون. و الأسهل بعدها هو فقر العينين و التسول مع الأطفال على الطرق... لكن لا! ولت هذه الأزمنة بالنسبة إلى طيبة. يحق لطيبة الآن أن تحظى بأمير، بلا مشاكل. أنا أسمي كريون فحسب، الحمد لله. قدماء على الأرض، يدائي موضوعاتي في جنبي و بما أنني ملك، قررت بطمأن أهل من طموح والدك أن أكرس نفسي، بكل بساطة، لأجعل نظام هذا العالم أقل سخافة إذا أمكن. حتى إنها ليست مغامرة بل مهنة،

مهنة يومية و ليست ممتعة دانما مثل كل المهن. لكن بما أنتي هنا لفعل ذلك، سأفعل ذلك... و إذا تدحرج مبعوث وسخ من آخر الجبل ليعلمني بأنه ليس متاكدا كذلك من ولادتي، سارجوه، بكل بساطة، أن يعود من حيث أتي و لن أذهب من أجل شيء نافه لأرى خالتك وجهها لو جهه و أبداً بمواجهة التواريخ. إن الملوك لديهم أشياء مهمة لفعلها بدل المسائل الشخصية المثيرة للشفقة، يا ابنتي الصغيرة. (ذهب إليها، أمسك بذراعها.) إذن، اسمعني جيداً. أنت أونتنيغون، ابنة إديب، فليكن، لكن عمركعشرون عاماً و قبل فترة قصيرة كان كل هذا ليحل بخبز حاف وصفعتين. (ينظر إليها، مبتسمًا.) فتاك؟ لم تنظرني لنفسك يا صغيرتي! أنت نحيلة جداً. اسمني قليلاً، بالأحرى، لتجنبي طفلاً بدينا لإيمون. إن طيبة في حاجة إلى ذلك أكثر من موتك. أؤكد لك ذلك. ستعودين إلى بيتك فوراً لتفعليني ما قلته لك و تخرمي. سأتولى إسكات الآخرين. هيا ذهبي! و لا تصعقيني بنظرتك هكذا. تعبريني وحشاً، هذا مفهوم، و تظنين حتماً أنتي مبتذل لكنتي أحبك رغم طباعك السيئة. لا تتسي بأنني من أهداك أول دمية، قبل وقت قصير.

لا تجيب أو تتيغون. ستخرج. يوقفها.

کریون

أونتنيغون! إن هذا هو الباب الذي يؤدي إلى غرفتك. إلى أين أنت ذاهبة من هناك؟

أونتیغون، توقفت، تجبيه بهدوء، دون تبجح.

أنت تعلم جيداً...

هناك صمتٌ ينظران إلى بعضهما من جديد و هما واقفان، الواحد يواجه الآخر.

کریون، یہمس، کما لو کان پکام نفسم.

ما اللعبة التي تلعبينها؟

أونتيفون

أنا لا ألعب.

كريون

إذن فأنت لا تفهمين بأنه لو عرف شخص آخر غير هؤلاء الوحش الثلاثة بما حاولت فعله قبل قليل، فساكون مضطراً لقتلك؟ لكن إذا سكت الآن وعدلت عن هذا الجنون لدى فرصة لإنقاذك لكنني سأفقدها بعد خمس دقائق. هل تفهمين هذا؟

أونتيغون

يجب أن أدفن شقيقك الذي كشفه هؤلاء الرجال.

كريون

ستكررين هذه الفعلة السخيفة؟ هناك حراس آخرون حول جثة بولينيس وحتى لو تمكنت من تغطيتها مجدداً، ستتبش جثته، تعرفين ذلك جيداً. ما الذي تستطيعين فعله إذن، عدا أن تدممي أظافرك من جديد ويلقى القبض عليك؟

أونتيغون

لا أريد سوى هذا، أنا أعلم. لكن هذا على الأقل، أستطيع فعله. و يجب على المرء فعل ما في استطاعته.

كريون

إذن فأنت حقاً تؤمنين بالدفن حسب القواعد؟ بظل شقيقك الذي حكم عليه بالنفي إلى الأبد إذا لم نرم على الجثة بعض التراب مع عباره الكاهن؟ هل سبق لك أن سمعت تلاوتها من طرف كهنة طيبة؟ هل رأيت هؤلاء الموظفين المتعبيين المساكين الذين يعدون الحركات و يبتلعون الكلمات و يضربون أقدامهم بالأرض قبل وجبة الظهر؟

أونتيغون

نعم، رأيتهم.

كريون

لذلك لم تظني قط أنه لو كان كائناً أحببته حقاً هو من كان ممداً في تلك العلبة لبدأت تصرخين فجأة؟ تصرخين عليهم ليسكتوا و يرحو؟
أونتيغون

بلى، فكرت في ذلك.

كريون

و تعرضين نفسك للموت الآن لأنني رفضت منح شقيقك جواز السفر النافه هذا، هذه الدندنة المتواصلة على جسدي، هذه التمثيليات الإيمانية التي كنت أول من يخجل منها و يتالم جراءها لو تم القيام بها. هذا سخيف.

أونتيغون

نعم، هذا سخيف.

كريون

إذن لماذا تقومين بهذه الفعلة؟ أ من أجل الآخرين؟ أ من أجل الذين يؤمنون؟ لترحيلهم ضدي؟

أونتيغون

لا.

كريون

ليس من أجل الآخرين و لا من أجل شقيقك، من أجل من إذن؟

أونتيغون

لا أحد. من أجلي.

كريون، ينظر إليها بصمت.

لديك رغبة قوية في الموت إذن؟ تبدين مسبقاً كطريدة صغيرة عالقة.

أونتيغون

لا تشفع علىي. افعل ما عليك فعله. لكن إن كنت كائناً بشرياً فافعله بسرعة. هذا كل ما أطلبه منك. لن أتحلى بالشجاعة إلى الأبد، هذا صحيح.

كريون، يقترب.

أريد إنقاذه يا أونتنيغون.

أونتنيغون

أنت المالك، تستطيع فعل كل شيء لكنك لا تستطيع فعل هذا.

كريون

هل تظنين ذلك؟

أونتنيغون

لا إنقاذه، ولا إجباري على فعل ذلك.

كريون

منكراة! صغيرة إديب!

أونتنيغون

بوسعك قتلي فحسب.

كريون

ماذا لو أمرت بتعذيبك؟

أونتنيغون

لماذا؟ لأبكي؟ لأطلب الرحمة؟ لأقسم على كل ما تريده ثم أعاود الكرة
لاحقا عندما يزول المي؟

كريون، يمسك ذراعها.

اسمعيني جيدا. ألعب دور الشرير، هذا صحيح و تلعبين دور الصالحة. و
تشعرین بذلك، لكن لا تستفيدي كثيرا من ذلك أيتها اللعينة الصغيرة...
لأنني لو كنت طاغية متوحشا عاديا كانوا ليقتلعوا لسانك منذ وقت طويل،
يسحبوا أعضاء جسمك بالملقط أو يرموك في حفرة. لكنك ترين شيئا في
عيني، شيئا يتردد، ترين بأنني أدعك تتكلمين بدل مناداة حراسي؛ لذلك
تسخرين مني، تهاجمين بكل ما بوسعك. إلى أين تريدين الوصول في
النهاية أيتها المسورة الصغيرة؟

أونتنيغون

أفلتني. أنت تؤلم ذراعي بيديك.

كريون، الذي يشد بقوه.

لا. أنا الأقوى في هذا الوضع لذا سأستفيد من ذلك أيضا.
أونتيغون، تطلق صرخة صغيرة.

آخ!

كريون، الذي تضحك علينا.

لربما هذا كان علي فعله رغم كل شيء، علي أن ألوي معصمك بكل بساطة و أشد شعرك كما يفعلون بالبنات، خلال اللعب. (ينظر إليها من جديد، يصبح جديا. يقول بالقرب منها) أنا عُمك، هذا مفهوم. لكننا لا نتعامل مع بعضنا البعض برقة في العائلة. لا يبدو لك هذا مضحكا، صحيح، هذا الملك المهاجر الذي يستمع إليك، هذا الرجل العجوز الذي يستطيع فعل كل شيء و الذي رأى العديد يموتون، أؤكد لك ذلك، كانوا مثيرين للعاطفة مثلك، و الذي يوجد هنا و يتکبد كل هذا العناء ليحاول منعك من الموت؟

أونتيغون، بعد مدة.

أنت تشد بقوه الأن. لم أعد أتألم. ما عدتأشعر بذراعي.

كريون، ينظر إليها و يفلتها بابتسامة صغيرة. يهمس.

يعلم الله بأن لدى أمورا أخرى لأقوم بها اليوم، لكنني سأخسر الوقت اللازم و أنقذك أيتها اللعينة الصغيرة. (يجلسها على كرسي وسط الغرفة. يخلع ستّرته، يتقدم نحوها، ثقيلا، قويا، دون ستّرة.) بعد ثورة فاشلة، هناك عمل كثير، أؤكد لك ذلك. لكن المسائل الهامة ستنتظرك. لا أريد أن أدعوك تموتين في مسألة سياسية. تستحقين أفضل من ذلك. لأن شقيقك بولينيس، هذا الظل الكبير و هذه الجثة التي تتحلّ بين الحراس و كل هذه الأمور المثيرة للشفقة التي تشعلك، ليست سوى مسألة سياسية. أولا، لست رقيقة، لكنني لائق، أحب ما هو نظيف، صاف و مغسول جيدا. هل تظنين أن هذا لا يقرّنني بقدر ما يقرّنك، هذا اللحم الذي يهترئ في الشمس؟ في المساء، عندما يهب الرياح القادم من البحر، نشمها من القصر مسبقا. إن هذا يريح

قلبي. و مع ذلك لن أغلق نافذتي حتى. هذا شنبع، هذا غباء، غباء بشكل وحشى لكن يجب أن تشم طيبة بأكملها هذا لفترة معينة. تعرفين أنني كنت لأمر بدفع شقيقك، فقط لأسباب صحية! لكن كي يفهم المترحشون الذين أحکمهم يجب أن تفوح رائحة جنة بولينيس النتنة في المدينة كلها، لمدة شهر.

أونتيغون

أنت كريه!

كريون

نعم، يا صغيرتي. المهنة تتطلب ذلك. ما يمكننا مناقشه، هو إن كان يجب فعله أم لا. لكن إذا فعلناه، يجب أن نفعله بهذا الشكل.

أونتيغون

لم تفعل ذلك؟

كريون

ذات صباح، استيقظت ملكاً لطيبة. و الله يعلم إن كنت أحب في الحياة شيئاً آخر غير السلطة...

أونتيغون

كان عليك الرفض إذن!

كريون

كان بإمكاني فعل ذلك. لكنني شعرت فجأة و كأنني عامل يرفض عملا. لم يبدي ذلك شريراً بنظري لذا قبلت.

أونتيغون

إذن بنسا لك. أنا لم أوفق! ما تأثير ذلك علي، سياستك، ضرورياتك، مساندك المسكينة؟ أنا مازال بوسعي رفض كل ما لا أحبه و أنا من يقرر وحدي. و أنت، مع تاجك، حراسك و معداتك، بوسعي قتلي فحسب لأنك وافقت.

كريون

اسمعيني.

أونتيغون

أنا أستطيع ألا أستمع إليك لو أردت ذلك. لقد وافقت، ما عاد لدى ما أتعلم منه. أنت لا. أنت هذا، تسترف كلامي. و إن لم تتدري حرامك فهذا لأنك تود سمعي حتى النهاية.

كريون

أنت تسليني.

أونتيغون

لا. أنا أخيفك. و لذلك تحاول إنقاذي. كان سيكون من المريح أكثر الاحتفاظ بأونتيغون صغيرة، حية و خرساء في هذا القصر. أنت حساس جدا لتكون طاغية حقيقة، لكنك ستأمر بقتلي رغم كل شيء بعد قليل، أنت تعرف ذلك و لذا أنت خائف. إن الرجل الخائف قبيح.

كريون، بخنق.

حسنا، نعم، أنا خائف من أن أضطر إلى قتلك إذا عاندت. لن أود فعل ذلك.

أونتيغون

أنا لست مضطرة إلى فعل ما لا أريد فعله! لربما ما كنت تريد أن ترفض قبرا لشقيق؟ قلها إذن، قل بأنك لم تود ذلك.

كريون

قلت لك ذلك.

أونتيغون

لكنك فعلت ذلك رغم كل شيء و الأن ستأمر بقتلي من دون أن ت يريد ذلك. و هذا ما يعنيه أن يكون المرء ملكا.

كريون

نعم، هذا هو.

أونتيغون

كريون المسكين! بظافري المكسورة و العلينة بالتراب و الكلمات التي سببها لي حراسك على ذراعي و بخوفي الذي يلوى معدتي، أنا ملكة.

كريون

فلتشفقي على إذن، عishi. إن جثة أخيك التي تهترئ تحت نوافي ذي تعتبر ثمنا كافيا ليسود النظام في طيبة. يحبك ابني لذا لا ترغميني على دفع الثمن معك. دفعت ما يكفي.

أونتيغون

لا، لقد قبلت، الآن، لن تكف عن الدفع أبدا!
كريون، يدفعها فجأة بعيدا عنه.

لكن، بربك! حاولي أن تفهميني قليلا، أنت أيضا، أيتها البلياء الصغيرة! لقد حاولت فهمك، أنا. لكن لابد من وجود من يوافق، لابد من أن يقود أحدهم المركب لأن المياه تتسرّب إليه من كل مكان، إنه مكان مليء بالجرائم والحمّاقات والبؤس... و الدفة التي تتارجح هناك. لم يعد الطاقم يرحب في فعل شيء، لا يفكرون سوى في نهب السنادة و بدأ الضباط مسبقاً بصنع طوف مريح، فقط من أجلهم، بكل مخزون الماء العذب ليخلصوا عظامهم من هناك على الأقل. و يتحطم الصاري، و يصرّر الريح، و ستتمزق الأشرعة، و سيموت كل هؤلاء الوحش سوية، لأنهم لا يفكرون إلا في أنفسهم، في أنفسهم القيمة و قضاياهم الصغيرة. هل تعتقدين إذن بأننا نملك الوقت لنقوم بتصرفات لبقة، لنعرف إن كان يجب الموافقة أو الرفض، لنتسائل إن لم يكن سيلازم دفع الثمن غالباً جداً يوماً ما و إن كنا نستطيع أن نبقى بسراً فيما بعد؟ نأخذ قطعة خشب، نجلس أمام الجبل المانع نصرخ بأمر ما و نضرب اعتباطياً، أول من يتقدّم. اعتباطياً! لا يملك ذلك اسمـاـ. إنه يشبه الموجة التي انكسرت للتو على الجسر أمامك؛ الريح التي تصفعك، و الشيء الذي يسقط في المجموعة لا يملك اسمـاـ. ربما كان ذلك الذي أعطاك ناراً و هو يبتسم الليلة الماضية. لم يعد له اسمـاـ.

و أنت أيضا، لم يعد لك اسم، متمسكة بالعصا. فقط المركب هو من لازال يملك اسمها و العاصفة. هل تفهمين هذا الأمر؟
أونتيغون، تحرك رأسها.

لا أريد الفهم. هذا يكفيك. أنا بهدف آخر غير الفهم. أنا هنا كي أقول لك « لا » و كي أموت.

كريون

إن الرفض سهل!

أونتيغون

ليس دوما.

كريون

للقبول، يجب بذل الجهد و رفع الكمين، الإمساك بالحياة باليدين و الغوص حتى الكوعين. إن الرفض سهل حتى و لو كان على المرء أن يموت. يكفي البقاء بلا حراك و الانتظار. الانتظار للعيش، الانتظار كي يقتلك الغير حتى. هذا جبن كبير. هذا ابتکار صنعه البشر. هل تتصورين عالما حيث كانت الأشجار لترفض النسخ أيضا، حيث ترفض الحيوانات غريزة الصيد و الحب؟ لأن الحيوانات على الأقل طيبة، بسيطة و قاسية. إنهم يذهبون، يتدافعون الواحد تلو الآخر، بشجاعة، على نفس الطريق. و إذا سقطوا، يمر الآخرون و من الممكن أن يتوه أي عدد منها، سييفي دانما واحد من كل نوع مستعد لإنجاب الصغار و لسلوك نفس الطريق بنفس الشجاعة، يثنّيهون تماما أولئك الذين مروا من قبل.

أونتيغون

ياله من حلم، بالنسبة لملك، حيوانات! سيكون ذلك بسيطا جدا.

هناك صمت، ينظر إليها كريون.

كريون

أنت تحقررينني، أليس كذلك؟ (إنها لا تجيب. إنه يتبع كما لو كان يحدث نفسه) هذا مضحك. لطالما تصورت هذا الحوار مع شاب صغير شاحب

سيكون قد حاول قتلي و الذي لن أحصل منه لاحقاً سوى على الاحتقار. لكنني لم أظن أنني سأجريه معك و من أجل سبب سخيف كهذا... (أمسك رأسه بيديه. نحس بأنه منهك). إذن أصغي إلى رغم ذلك للمرة الأخيرة. إن دوري ليس جيداً لكنه دوري و سأمر بقتلak. لكن قبل ذلك أريدك أن تتأكد من دورك. أنت تعرفين لما ستموتين يا أونتيغون؟ تعرفين على أي قصة كنيبة ستوقعين اسمك الدامي إلى الأبد.

أونتيغون

أي قصة؟

كريون

قصة إتيوكل و بولينيس، قصة شقيقك، لا، أنت تحسسين أنك تعرفينها لكن لا. لأنه لا أحد يறرفها في طيبة باستثنائي أنا. لكن يبدو لي أنه يحق لك أنت كذلك معرفتها هذا الصباح. (يحلم لمدة، ممسكاً رأسه بيديه، جاثياً على ركبتيه. نسمعه بهمس). و ليست جميلة جداً، ستررين. (و يبدأ بخنق دون أن ينظر إلى أونتيغون). أولاً، ماذا تتذكري عن شقيقك؟ رفيقاً لعب كانا يحتقرانك بلا شك، يكسران دماك، بهمس أحدهما للأخر في أذنه على الدوام بأسرار ليغطيشك؟

أونتيغون

كانا كبيرين...

كريون

لاحقاً، لابد من أنك أعجبت بهما مع السجارة الأولى و أول سروال طويل؛ ثم بدأ بالخروج ليلاً وفاحت منها رائحة الرجل، ثم لو يعودا ينظران إليك.

أونتيغون

كنت فتاة...

كريون

كنت ترين جداً بلن والدتك تبكي و والدك يغضب، سمعت الأبواب تصفع
عند عودتها و ضحكتهما الساخرة في الأروقة. و كانا يمران أمامك
ساحرين و مترنحين و قد فاحت منها رائحة النبيذ.

أونتيغون

ذات مرة، كنت قد اختبأت وراء الباب. كان الصباح، كنا قد نهضنا للتو، و
هما، كانا عائدين إلى المنزل. رأني بولينيس، كان شاحباً للغاية، كانت
عياته لامعتين و كان وسيماً جداً بملابس الليلية! قال لي: « عجباً، أنت
هنا. » و أعطاني زهرة ورقية كبيرة حصل عليها خلال سهرته.

كريون

و احتفظت بهذه الزهرة، أليس كذلك؟ و بالأمس، قبل أن تذهبي فتحت
درجك و حدقت إليها وقتاً طويلاً كي تتسلحي بالشجاعة.
أونتيغون، تنفس.

من قال لك هذا؟

كريون

أونتيغون المسكونة مع زهرتك الورقية! هل تعرفين من كان شقيقك؟

أونتيغون

كنت أعلم أنك ستتكلم عنه بسوء على أي حال!

كريون

قاصف غبي حقير! جارح قاس لا روح لديه، وحش صغير لا يصلح إلا
لتجاوز الآخرين بسياراته، و لإنفاق مال أكثر في الحالات. ذات مرة، كنت
هنا، كان أبوك قد رفض منحه مبلغاً كبيراً خسره في القمار؛ أصبح شاحباً
لغاية و رفع قبضته صارخاً بكلمة بذينة!

أونتيغون

ليس صحيحاً!

كريون

طارت قبضته المتוחشة إلى وجه والدك! كان ذلك مثيراً للشفقة. كان والدك جالساً إلى طولته، رأسه بين يديه. كان أنفه ينزف. كان يبكي. وفي إحدى زوايا المكتب كان بولينيس يسخر منه و هو يشعل سيجارة. أونتيغون، تتوسل تقريراً الآن.

ليس صحيحاً.

كريون

حاولي التذكر، كان عمرك اثنا عشر عاماً. لم تروا وجهه لمدة طويلة بعد ذلك. أهذا صحيح.

أونتيغون، بخنق.

نعم هذا صحيح!

كريون

حصل ذلك بعد هذا الشجار. لم يرحب والدك في محاكمته. لذا التحق بالجيش الأرجي، و ما إن ذهب عند الأرجيين حتى بدأت المطاردة ضد والدك، ضد هذا الرجل العجوز الذي لا يريد الموت و التخلّي عن مملكته. تالت الاغتيالات و كان القتلة الذين نقبض عليهم دائماً يعترفون في النهاية بأنهم قبضوا المال منه. لكن ليس منه فحسب لأن هذا ما أريده أن تعرفيه: كواليس هذه المأساة التي تتحرقين إلى لعب دور فيها، المطبخ. بالأمس، أمرت بإقامة مراسم دفن عظيمة لإتيوك. أصبح إتيوك الآن بطلاً وقديساً بالنسبة إلى طيبة. حضر الشعب كلّه. تبرع أطفال المدارس بكلّ نقود حصالاتهم من أجل التاج؛ مجد عجزة، متظاهرين بالتأثير، بصوت مرتفع الشقيق الصالح، ابن إدبيب، الأمير الملكي. أنا أيضاً أقيمت خطاباً، وكلّ كهنة طيبة بلا استثناء مع الملامح اللازمة و التكريمات العسكرية... كان ذلك لازماً. تظنين بأنّي ما كان بوسعي أن أقدم لنفسي نذلاً في الطرفين. لكنني سأقول لك أمراً، أمراً لا يعرفه سواعي، أمراً فظيعاً: إتيوك، ذلك الرجل الفاضل لم يكن أفضل من بولينيس، الابن الصالح كان قد حاول أيضاً أن يقتل والده، قرر الأمير المخلص أيضاً أن يبيع طيبة

للهذا يقدم أفضل عرض. نعم، هل تظنين بأن هذا مضحك؟ هذه الخيانة التي بسببها تهترئ جثة بولينيس في الشمس، لدى البرهان الآن بأن إتيوكيل، الذي ينام في قبره الرخامي، كان يستعد أيضاً لاقترافها. لقد كانت مصادفة فقط أن ينجح بولينيس في القيام بها قبله. كذا في مواجهة لصين يخدعون بعضهما بخداعنا و اللذان ذبحا بعضهما بعضاً كزفافيين في تصفيّة حساب... لكن صادف أنني اضطررت إلى أن أصنع بطلاً من أحدهما لذا أمرت بالبحث عن جثتيهما وسط الجثث الأخرى. و تم العثور عليهما متعانقين - لأول مرة في حياتهما بلا شك. كانوا قد تنافذوا بالسيف و كان هجوم الجيش الأرجي قد مر من فوقهما. كانوا مسحوقين، يا أونتيغون، أصبحا مشوهيّن. أمرت بلم إحدى الجثتين، أفلّهما نضرراً، من أجل مراسم الدفن الوطنية وأمرت بترك الأخرى تهترئ في مكانها. لم أعد أدرى أية واحدة. و أؤكد لك بأن الأمر لا يهمني.

هناك صمت طويل، إنهم ساكنان، دون أن ينظروا لبعضهما، ثم تقول
أونتيغون بروية.

أونتيغون

لماذا أخبرتني بهذا الأمر؟
ينهض كريون، يرتدى سترته.

كريون

هل كان من الأفضل ترك تموتين في هذه القصة المقززة؟
أونتيغون

ربما، أنا كنت أعتقد ذلك.
هناك صمت من جديد، يقترب منها كريون.

كريون

ماذا ستفعلين الآن؟

أونتيغون، تنهض مثل من يسير أثناء نومه.
سأعود إلى غرفتي.

كريون

لا تبقى وحيدة لفترة طويلة، قابلي ايمون هذا الصباح، تزوجي بسرعة.
أونتيغون، بنفس.

نعم.

كريون

لديك الحياة كلها أمامك. كان حديثنا عديم الفائدة. أؤكد لك ذلك. مازال لديك
هذا الكنز، أنت.

أونتيغون

نعم.

كريون

و لا يهم أي شيء آخر. لكنك كنت ستهدرينه! أفهمك، كنت لأفعل ما
تفعلينه في عمر العشرين. لذا شربت كلامك. أصغيت من أعماق الزمن
إلى كريون صغير، نحيل و شاحب مثلك و الذي لم يكن يفكر إلا في
إعطاء كل شيء كذلك... تزوجي بسرعة يا أونتيغون، كوني سعيدة. ليست
الحياة كما تظنينها. إنها ماء يدعه الشباب يتذفق على غفلة منهم من بين
أصابعهم المفتوحة. أطبقي يديك، أطبقي يديك بسرعة. احبسيه. سترين بأنه
سيصبح شيئاً صغيراً قاسياً و بسيطاً نقضمه جالسين تحت الشمس. سيقول
لك الآخرون بأن هذا ليس صحيحاً لأنهم يحتاجون إلى قوتك و اندفاعك.
لذا لا تصحى إليهم. لا تصغي إلى عندما ألقى خطابي الم قبل أمام إتيوك.
لأنه لن يكون صحيحاً. وحده الكلام الذي لا نقوله صحيح... ستتعلمين ذلك
أنت أيضاً لكن بعد فوات الأوان، إن الحياة كتاب نحبه، إنها طفل يلعب
عند قدمينا، إنها أداة يمسك بها المرء جيداً بيده، إنها مقعد للاستراحة في
المساء أمام المنزل. ستختقريني أكثر لكنك سترين أن اكتشاف هذا الأمر
هو العزاء النافع للتقدم بالسن، و مع ذلك، ربما الحياة ليست سوى السعادة!
أونتيغون، تهمس، بنظرة تائهة.

السعادة...

كريون، فجأة خجل من نفسه نوعاً ما.

كلمة مسكينة، ها؟

أونتيغون، بهدوء.

ماذا ستكون سعادتي؟ أي امرأة سعيدة ستصبح أونتيغون الصغيرة؟ أي فقر سيجب عليها أن تقوم به، هي أيضاً، يوماً بعد يوم كي تقلع بأسنانها شذرة السعادة الصغيرة؟ قل، على من عليها أن تكتب، لمن تتسم، لمن تتبع نفسها؟ من عليها أن تدعه يموت فيما تبعد نظرها؟
كريون، يهز كتفيه.

أنت مجنونة، اسكنى.

أونتيغون

لا، لن أسكن! أريد أن أعرف كيف سأتصرف أنا أيضاً لأبلغ السعادة. على الفور، بما أنه يجب الاختيار على الفور. تقول بأن الحياة جميلة جداً. أريد أن أعرف كيف سأتصرف كي أعيش.

كريون

هل تحبين إيمون؟

أونتيغون

نعم، أحب إيمون. أحب إيمون القاسي و الغيور؛ إيمون المطلب والمخلص مثلـي. لكن إن كانت حياتك و سعادتك ستدعـان علينا مع فائدتهما، إذا لم يكن إيمون سيشـبـعـ عنـدـما أـشـبـ، إذا كان لن يـظـنـيـ مـيـنةـ عـنـدـماـ أـتـأـخـرـ خـمـسـ دقـائقـ، إذا لم يكن سيـشـعـرـ بـأـنـهـ وـحـيدـ فـيـ الـعـالـمـ وـ يـكـرهـنـيـ عـنـدـماـ أـضـحـكـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـعـرـفـ السـبـبـ، إذا كان سـيـصـبـحـ قـرـبـيـ السـيـدـ إـيمـونـ، إذا كان عـلـيـهـ تـعـلـمـ القـبـولـ هوـ أـيـضاـ، إذا أنا لم أـعـدـ أـحـبـ إـيمـونـ.

كريون

ما عـدـتـ تـدـرـكـينـ مـاـ تـقـرـلـيـنـهـ، اـسـكـنـيـ.

أونتيغون

بلى، أنا أدرك ما أقوله. لكنك أنت من لم يعد يسمعني. أكلمك من مكان بعيد جداً الآن، من مملكة لم يعد بسعوك الدخول إليها بتجاوزيتك و بحكمتك و ببطئيتك. (تضحك). آه! أنا أضحك يا كرييون لأنني أراك فجأة في عمر الخامسة عشرة! لكنك تملك ملامح العجز ذاتها عندما يظن المرء أنه قادر على فعل كل شيء. لقد أضافت الحياة عليك هذه الثناء الصغيرة على وجهك فحسب.

كرييون، يهزها.

هل ستسكتين في النهاية؟

أونتيغون

لما ترید إسكاتي؟ هل لأنك تعرف بأنني محق؟ هل تظن أنني لا أرى في عينيك أنك تعرف ذلك؟ تعرف أنني محق لكنك لن تعرف بذلك أبداً لأنك تدافع عن سعادتك الآن و كأنها عظم.

كرييون

سعادتك و سعادتي، نعم، أيتها المعتوهة!

أونتيغون

تفززوني جميماً بسعادتكم! بحياتكم التي يجب أن نحبها مهما كان الثمن. كأنكم كلاب تلعق كل ما تجده. و هذا الحظ الصغير اليومي إن لم نكن متطلبين جداً. أنا أريد كل شيء و على الفور، - ول يكن كاملاً، - أو سارفشه! لا أريد التواضع و الاكتفاء بقطعة صغيرة إن كنت عاقلة جداً. أريد أن أكون متأكدة من كل شيء اليوم و أن يكون جميلاً كما كان في صغرى - أو الموت.

كرييون

هيا، ابدني، ابدني بالكلام مثل والدك!

أونتيغون

مثل والدي، نعم! نحن من الذين يتساءلون حتى النهاية. حتى لا تبقى أي ذرة أمل حية، أي ذرة أمل يمكن خنقها. نحن من أولئك الذين يقفزون على الأقل عندما يلتقطونه، أملاك العزيز، أملاك القدر!

كريون

اسكتي! لو رأيت نفسك و أنت تصرخين بهذا الكلام، أنت قبيحة.

أونتيغون

نعم، أنا قبيحة! هذا فظيع، أليس كذلك، هذا الصراخ، هذه الانتفاضة، قتال جامعي الخرق هذا. لم يصبح أبي طيبا إلا لاحقا، عندما تيقن من أنه قتل والده أخيرا، و أنه نام مع والدته و أنه لم يعد هناك شيء، ولا شيء، يستطيع إنقاذه. عندئذ هدا فجأة، بدا كما لو كان يبتسم و أصبح وسيما. كان الأمر قد انتهى. لم يعد أمامه سوى أن يغمض عينيه كي لا يراك! آه! وجهك، وجهك المسكين لمرشح للسعادة! أنت القبيح، حتى الأكثر جمالا. كلكم تملكون سمة قبيحة عند زاوية الفم. لقد قلتها قبل قليل يا كريون، المطبخ. تشبهون الطباخين!

كريون، يلوى ذراعيها.

أمرك بالسكتوت الآن، أتسمعين؟

أونتيغون

هل تأمرني أيها الطباخ؟ أتظن أنه بإمكانك أن تأمرني بشيء؟

كريون

إن المدخل يعج بالناس. هل تريدين أن تهلكي؟ سيسمعونك.

أونتيغون

إذا افتح الأبواب. كي يسمعوني بالتحديد!

كريون، الذي يحاول إغلاق فمها بالقوة.

هل ستسكتين، في النهاية، بربك؟

أونتيغون، تتخبط.

هيا أيها الطباخ، نادي حراسك بسرعة!

يفتح الباب. تدخل إسمين.

إسمين، بصرخة.

أونتيغون!

أونتيغون

ماذا تريدين أنت أيضا؟

إسمين

أونتيغون، سامحيني يا أونتيغون، كما ترين، لقد أتيت، لدى الشجاعة.
سأذهب معك الآن.

أونتيغون

إلى أين ستذهبين معى؟

إسمين

إذا قاتلتها، عليك قتلي معها!

أونتيغون

آه! لا. ليس الآن! أنت لا! إنها أنا! أنا وحدي. لا تدركين بأنك ستائين
للموت معى الآن. سيكون ذلك سهلا جدا!

إسمين

لا أريد العيش إذا مت، لا أريد العيش من دونك.

أونتيغون

لقد اخترت الحياة و أنا الموت. و فري على نحيبك الآن. كان يجب عليك
الذهاب هذا الصباح، زحفا في الليل. كان يجب أن تتبشى الأرض
بأظافرك بينما كانوا على مقربة و أن يمسك بك من طرفهم مثل اللصنة!

إسمين

إذن، سأذهب غدا!

أونتيغون

هل تسمعها يا كريون؟ هي أيضا. من يدري إن كنت ستنقم من غيري
بينما تصغي إلي؟ ما الذي تنتظره لتسكتني، ماذا تنتظر كي تناجي

حراسك؟ هيا يا كريون، تحلى ببعض الشجاعة، ليست سوى لحظة عصبية لتعيشها. هيا أيها الطباخ، بما أن الأمر يستلزم ذلك! كريون، يصرخ فجأة.

أيها الحراس!
يظهر الحراس في الحال.

كريون

خذوها.

أونتيغون، بصرخة راحة كبيرة.

أخيرا يا كريون.

ينقض عليها الحراس و يأخذونها. تخرج إسمين خلفها و هي تصرخ.
إسمين

أونتيغون! أونتيغون!

يقى كريون وحيدا، يدخل الممهد و يذهب إليه.
الممهد

أنت مجنون يا كريون. ماذا فعلت؟

كريون، الذي ينظر بعيدا أمامه.

كان يجب أن تموت.

الممهد

لا تدع أونتيغون تموت يا كريون! سنحمل جميعا هذا الجرح في جنينا طوال قرون.

كريون

هي من أراد الموت. لم يكن أي واحد منا قويا بما يكفي لإقناعها بالعيش. أنا أفهم ذلك الآن، ولدت أونتيغون لكي تموت. لربما هي نفسها لم تكن تعرف ذلك، لكن بولينيس كان مجرد ذريعة. عندما اضطررت إلى التخلي عنه، وجدت ذريعة أخرى فورا. كان المهم بالنسبة لها هو الرفض والموت.

المهد

إنها مجرد طفلاً يا كريون.

كريون

ما الذي تريدينني أن أفعله من أجلها؟ الحكم عليها بالحياة؟
إيمون، يدخل صارخاً.

أبي!

كريون، يجري نحوه، يقبله.

انسها يا إيمون؛ انسها يا صغيري.

إيمون

أنت مجنون يا أبي. انركني.

كريون، يمسكه بقوة أكثر.

جربت كل شيء لإنقاذها يا إيمون. جربت كل شيء، أقسم لك بذلك. إنها لا تحبك. كان بإمكانها العيش. لقد فضلت جنونها و الموت.

إيمون، يصرخ، مصراً على الإفلات من عناقه.

لكن أبي، أنت ترى جيداً بأنهم يقتادونها! أبي، لا تدع هؤلاء الرجال يأخذونها!

كريون

لقد تكلمت الآن. تعرف طيبة كلها ما فعلته لذا أنا مضطر لقتلها.

إيمون، يفلت من ذراعيه.

دعني!

هناك صمت، يقف أحدهما في مواجهة الآخر. ينظران إلى بعضهما البعض.

المهد، يقترب.

الآن يمكننا تلقيق أي قصة؟ نقول أنها مجنونة، نحبسها؟

كريون

سيقولون بأن هذا ليس صحيحا. بلني أنقذها لأنها ستصبح زوجة ابني، لا
أستطيع.

العمهد

ألا يمكننا كسب الوقت؟ وجعلها تهرب غدا؟

كريون

يعرف الحشد مسبقا، إنه يصبح من حول القصر. لا أستطيع.
إيمون

أبي، إن الحشد لا شيء فلانت السيد.

كريون

أنا السيد قبل القانون. ليس بعده.

إيمون

أبي، أنا ابنك، لا يمكنك أن تدعهم يأخذونها مني.

كريون

بلى يا إيمون. بلى، يا صغيري. تشجع فأنتيغون ما عادت تستطيع العيش.
أونتيغون غادرتنا جميعا.

إيمون

هل تظن أنني أستطيع العيش من دونها؟ هل تظن أنني سأقبل بحياتكم؟
حيث سأعيش كل يوم من الصباح حتى المساء من دونها. و اضطرابكم،
ثرثرتكم و فراغكم من دونها.

كريون

لابد من أن تتقبل ذلك يا إيمون. لأن كل واحد منا سيضطر ذات يوم ليقبل
أن يكون رجلاً أخيراً و هو حزين نسبياً و بعيد نسبياً. بالنسبة لك ستفعل
ذلك اليوم... لكنها أنت ذا و عيناك دامعتان و قلبك الذي يؤلمك - ابني
الصغير، للمرة الأخيرة... عندما ستلتقي، عندما ستتجاوز هذه العتبة بعد
قليل، سينتهي كل شيء.

إيمون، يتراجع قليلاً و يقول بهدوء.

لقد انتهى كل شيء.

كريون

لا تحكم علي يا إيمون. لا تحكم علي أنت أيضا.
إيمون، ينظر إليه ويقول فجأة.

هذه القوة الكبيرة و هذه الشجاعة، ذاك الرجل العملاق الذي كان يرفعني
بذراعيه لينقذني من الوحش و الظلال، هل كان أنت؟ هذه الرانحة
الممنوعة و خبز المساء اللذيذ، تحت المصباح، عندما كنت ترينني كتبا في
مكتبك، أكان أنت؟ أتفطن ذلك؟

كريون، بتواضع.

نعم، يا إيمون.

إيمون

كل هذه العناية، كل هذا الكبراء، كل تلك الكتب المليئة بالأبطال، كانت
كلها تؤدي إلى هنا؟ أن يكون المرء رجلا، كما تقول، و سعيدا جدا
بالعيش؟

كريون

نعم يا إيمون.

إيمون، يصرخ فجأة مثل الطفل، مرتما بين ذراعيه.

أبي، إن هذا ليس صحيحا! إن هذا ليس أنت، ليس اليوم! ليس كلانا عند
قدم هذا الجدار حيث يجب قول «نعم» فحسب. ما زلت قويا كما كنت
عندما كنت صغيرا. آه! إنني أتوسل إليك يا أبي، دعني أعجب بك، دعني
أعجب بك من جديد! أنا وحيد جدا و سيصبح العالم عاريا جدا إذا زال
أعجaby بك.

كريون، يبعده عنه.

نحن وحيدون يا إيمون. إن العالم عار. لقد أتعجبت بي لفترة طويلة جدا.
انظر إلي، هذا ما يعنيه أن يصبح المرء رجلا، النظر إلى وجه والده
مباشرة لمرة واحدة.

إيمون، ينظر إليه، يتراجع و هو يصرخ.
أونتيغون! أونتيغون! النجدة!
خرج جرياً

المهد، يذهب إلى كريون.

لقد خرج كالجنون يا كريون.

كريون، الذي ينظر بعيداً أمامه دون حراك.
نعم، الصغير المسكين، إنه يحبها.

المهد

يجب التصرف يا كريون.

كريون

ما عاد بوسعي فعل شيء.

المهد

لقد ذهب مجروها في الصميم.

كريون، بخنق.

كنا مجروهون في الصميم.

تدخل أونتيغون إلى الغرفة، مدفوعة من طرف الحراس الذين يرتكزون على الباب، التي نلمح خلفها الحشد الصارخ.

الحراس

يا قائد، إنهم يقتحمون القصر!

أونتيغون

كريون، لم أعد أريد رؤية وجوههم، لم أعد أريد سماع صراخهم، لم أعد أريد رؤية أحداً لديك موتي الآن، هذا كاف. اجعلني لا أرى أحداً إلى أن ينتهي الأمر.

كريون، يخرج صارخاً بالحراس.

أيها الحراس، إلى الأبواب! أفرغوا القصر! أنت أبق معها هنا.

يخرج الحراس الآخرون، يتبعهم الممهد. تبقى أونتيغون وحيدة مع الحراس الأول. تنظر إليه أونتيغون.
أونتيغون، تقول فجأة.

إذن أنت هو؟

الحراس

من أنا؟

أونتيغون

آخر وجه أراه.

الحراس

أظن ذلك.

أونتيغون

يجب أن أنظر إليك...

الحراس، يبتعد محرجاً.

لا بأس.

أونتيغون

أنت من ألقى على القبض قبل قليل؟

الحراس

نعم، إنه أنا.

أونتيغون

لقد ألمتني. لم تكن مضطراً لإيلامي. هل بدا عليّ أنتي أريد الهرب؟

الحراس

كفى، كفى، لا مشاكل! لو لم أؤذيك لكانوا سيفقديونني.

أونتيغون

كم عمرك؟

الحراس

تسعة وثلاثون عاماً.

أونتيغون

أدليك أطفال؟

الحارس

نعم، اثنان.

أونتيغون

هل تحبهم؟

الحارس

هذا ليس من شأنك.

يبدأ بالمشي ذهابا و إيابا في الغرفة: طوال مدة، لا نسمع سوى وقع خطواته.

أونتيغون، تسأل بتواضع كبير.

هل تعمل كحارس منذ وقت طويل؟

الحارس

بعد الحرب. كنت رقيبا. تم توظيفي.

أونتيغون

هل يجب أن يكون المرء رقيبا كي يصبح حارسا؟

الحارس

مبدنيا، نعم. رقيبا أو أنه اتبع الزمرة الخاصة. عندما يصبح حارسا يخسر الرفيق رتبته. إليك مثلا: إذا التقى أحد الملتحقين بالجيش بوسعي إلا يحيبني.

أونتيغون

أحقا؟

الحارس

نعم، لكن لاحظي بأنه يفعل ذلك بشكل عام. يعرف الملتحق الجديد أن الحارس لديه رتبة، بالنسبة إلى الراتب: نتقاضى راتب الحارس العادي مثل أعضاء الزمرة الخاصة و خلال ستة أشهر يدفعون لنا علاوة راتب

الرقيب كمكافأة. لكن كحراس لدينا امتيازات أخرى. المسكن، التدفئة، الإعانات. في النهاية، إن الحراس المتزوج و الذي لديه طفلاً يجني أكثر من الرقيب.

أونتيفون

أحقا؟

الحارس

نعم. هذا ما يفسر الخصومة بين الحراس و الرقيب. لعلك لاحظت أن الرقيب يتظاهر باحتقار الحراس. السبب هو الترقية، هذا صحيح نوعاً ما. إن ترقية الحراس أبطأ و أصعب مما في الجيش. لكن لا يجب أن تنسى بأن عريف الحراس يختلف عن الرقيب الأول.

أونتيفون، تقول له فجأة.

اسمع...

الحارس

نعم.

أونتيفون

ساموت بعد قليل.

لا يجيب الحراس. صمت. يمشي ذهاباً و إياباً. بعد مدة يستأنف.

الحارس

من جهة أخرى، هناك تقدير للحراس أكثر من الرقيب. إن الحراس جندي لكنه شبه موظف حكومي.

أونتيفون

هل تظن أن المرء يتآلم عندما يموت؟

الحارس

لا أستطيع أن أجيبك. خلال الحرب، تآلم أولئك الذين أصيبوا في بطونهم. أنا لم أصب قط و هذا ما أعق ترقتي.

أونتيفون

كيف سيقتلونني؟

الحارس

لا أدرى. أظن أنتي سمعتهم يقولون بأنهم سيطمرونك في حفرة كي لا يلطخوا المدينة بدمك.

أونتيغون

حية؟

الحارس

نعم، في البداية.

صمت. يمضغ الحارس قطعة تبغ.

أونتيغون

يا قبرى! يا سريري الزوجى! يا مسكنى التحثارضى... (إنها صغيرة جداً وسط القاعة الكبيرة العارية. تبدو كما لو كانت تشعر بالبرد قليلاً. تحيط نفسها بذراعيها. تهمس). وحيدة...

الحارس، الذي أنهى قطعة تبغه.

في كهوف هاديس، عند أبواب المدينة، تحت الشمس الساطعة. إنها مهمة غريبة أخرى بالنسبة إلى الجدد في المهنة. في البداية تكلموا عن تكليف الجيش لكن بحسب آخر الأخبار، يبدو بأن الحرس هم من سيموتون الأوتاد. لدى الحرسدور جميل! لا تتتعجب بعد هذا من أن تكون هناك غيرة بين الحارس والرقيب...

أونتيغون، تهمس فجأة بسام.

حيوانان...

الحارس

حيوانان ماذا؟

أونتيغون

الحيوانات تضم بعضها بعضاً لتشعر بالدفء. أنا بمفردك.

الحارس

إذا كنت في حاجة إلى شيء فالأمر مختلف، يمكنني أن أنادي أحدا.
أونتيغون

لا، أريد فقط أن تسلم رسالة لشخص ما بعد موتي.
الحارس

ما الذي تعنيه برسالة؟
أونتيغون
رسالة سأكتبها.

الحارس

آه! ليس هذا! لا مشاكل! رسالة! بعد أن تموتي سأخاطر بالكثير في هذه
اللعبة الصغيرة!

أونتيغون
سأعطيك هذا الخاتم إذا قبلت.

الحارس

أ هو من الذهب؟
أونتيغون

نعم، إنه من الذهب.

الحارس

أنت تعلمين بأنهم إن فتشوني فسأمثل أمام المجلس العسكري. لا تبالين بذلك
أنت؟ (ينظر إلى الخاتم من جديد). ما أستطيع فعله إذا أردتني هو أن أكتب
على دفترى ما تودين قوله. ثم سأمزق الصفحة. إن خطى مختلف.

أونتيغون، أغلقت عينيها: تهمس بتکشيره حقيقة.

خطك... (تقشعر قليلا). إن كل هذا قبيح جدا، إن كل شيء قبيح جدا.
الحارس، منز عجا، يتظاهر بإعادة الخاتم.

كما تعلمين، إن كنت لا تريدين، أنا...

أونتيغون

بلى، احتفظ بالخاتم و اكتب، لكن أسرع... أخشى أنه لم بعد لدينا وقت
كاف... أكتب: «حبيبي...»
الحارس، الذي تناول دفتره و يمس رصاصه.

هل هي لحبيبك؟

أونتيفون

حبيبي، أردت الموت و لربما لن تحبني بعد الآن...
الحارس، يكرر ببطء بصوته الخشن و هو يكتب.

«حبيبي، أردت الموت و لربما لن تحبني بعد الآن...»
أونتيفون

و كان كرييون محقا، هذا فظيع، الآن، إلى جانب هذا الرجل، لم أعد
أعرف لما أموت. أنا خائفة...
الحارس، الذي أتعبه إملاؤه.

«كان كرييون محقا، هذا فظيع...»

أونتيفون

أوه! يا إيمون، ابننا الصغير. الآن فقط فهمت كم كان العيش سهلا...
الحارس، يتوقف.

هي! قولي لي، أنت تتكلمين بسرعة. كيف تريدين مني أن أكتب؟ لا بد من
بعض الوقت...»

أونتيفون

إلى أين وصلت؟

الحارس، يعيد القراءة

«هذا فظيع، الآن، إلى جانب هذا الرجل...»

أونتيفون

لم أعد أعرف لما أموت.

الحارس، يكتب و يمس رصاصه.

«لم أعد أعرف لما أموت...» لا يعرف المرء أبداً لما يموت.

أونتيغون، تتابع.

أنا خائفة... (تترقب، تعتدل فجأة) لا. أشطب كل هذا. من الأفضل لا يعرف أحد هذا الأمر. كان عليهم أن يروني عارية و يلمسوني بعد موتي. لكن فقط: « العفو. »

الحارس

إذن أشطب النهاية و أكتب « العفو » بدلا منها؟

أونتيغون

نعم. العفو، يا حبيبي. من دون أونتيغون الصغيرة، كنتم لتنعموا بالسلام جمِيعاً. أحبك...»

الحارس

« من دون أونتيغون الصغيرة، كنتم لتنعموا بالسلام جمِيعاً. أحبك...»
أهذا كل شيء؟

أونتيغون

نعم، هذا كل شيء.

الحارس

إنها رسالة غريبة.

أونتيغون

نعم، إنها رسالة غريبة.

الحارس

و لمن هي موجهة؟

في هذه اللحظة، يفتح الباب. يظهر الحارسان الآخران. تنهض أونتيغون، تنظر إليهما، تنظر إلى الحارس الأول الذي وقف خلفها، يضع الخاتم في جيده و يخفي الدفتر، كشيء مهم... يرى نظرة أونتيغون. يصرخ ليظهر هبته.

الحارس

هيا! لا تثيري أية مشاكل!

تظهر على أونتيغون ابتسامة خفيفة، تخفض رأسها، تذهب دون آية كلمة نحو الحارسين الآخرين، يخرجون جميعا.
الممهد، يدخل فجأة.

هنا ينتهي أمر أونتيغون، الآن يقترب دور كريون، يجب أن يموتوا جميعا، المبعوث، يقتحم المكان.

الملكة، أين الملكة؟

الممهد

ماذا ترید منها؟ بم ترید تبلغها؟

المبعوث

بخبر فظيع، كانوا قد رموا أونتيغون في حفرتها للتو، لم يكونوا قد انتهوا من من درجة آخر الكتل الحجرية بعد عندما سمع كريون و كل المحيطين به صراخا يتضاد من القبر فجأة، سكت الجميع و أنسقت، لأنه لم يكن صوت أونتيغون، كان نواحا جديدا يتضاد من أعماق الحفرة... نظر الجميع إلى كريون، و هو الذي حزر قبل غيره، هو الذي يعرف قبل الآخرين، صرخ فجأة كالمحنون: «انزعوا الحجارة! انزعوا الحجارة!» ارتمى العبيد على الكتل المكدرسة و من بينهم الملك المتعرق النازف البدين، تحركت الحجارة أخيرا و دخل أنحف واحد من خلال الفتحة، كانت أونتيغون في قعر القبر معلقة بخيوط حزامها، خيوط زرقاء، خيوط خضراء، خيوط حمراء أشبه بعقد طفل، و إيمون جائيا على ركبتيه يحملها بين ذراعيه و ينوح، وقد غمى وجهه في فستانها.

حركوا كتلة أخرى فاستطاع كريون النزول أخيرا، كنا نرى شعره الشائب في الظلام في قعر الحفرة، حاول إنهاض إيمون، توسل إليه، لم يسمعه إيمون، ثم وقف فجأة بعينين سوداويتين، لم يشبهه قط إلى هذا الحد الولد الصغير الذي كان عليه بالماضي، نظر إلى والده دون أن يقول آية كلمة، بعد دقيقة، فجأة بصق بوجهه و شهر سيفه، قفز كريون بعيدا عن متناوله، عندها نظر إليه بعيني الطفل المليئتين بالاحتراف، و لم يستطع كريون

تفادي هذه النظرة التي تشبه الموسى. نظر إيمون إلى هذا الرجل العجوز المرتجف عند الطرف الآخر من الكهف و دون أن يقول شيئاً غرس السيف في بطنه و تمدد فرق أونتيغون معانقاً إياها في بركة حمراء كبيرة.

كريون، يدخل برفقة غلامه.

أمرت بتمديدهما الواحد قرب الآخر، أخيراً! تم غسلهما الآن، مرتاحان. إنهم شاحبان قليلاً فحسب، لكنهما هادئان جداً. عشيقان في اليوم التالي لليلتهما الأولى. لقد انتهيا.

الممهد

و أنت لا يا كريون. ما زال عليك أن تعلم شيء ما. أوريديس الملكة، زوجتك... .

كريون

امرأة جيدة تتكلم دائمًا عن حديقتها، عن مرباها، عن كنوزاتها، عن كنوزاتها الأبدية من أجل المساكين. من الغريب أن يحتاج المساكين دائمًا إلى الكنزات. يبدو كما لو أنهم في حاجة إلى الكنزات فقط...

الممهد

سيشعر فقراء طيبة بالبرد هذا الشتاء، يا كريون. عندما علمت بموت ابنها، وضعت الملكة إبرها بهدوء بعد أن أنهت صفتها، بتأن مثل كل ما تفعله، ربما أكثر هدوءاً من العادة. ثم دخلت إلى غرفتها، غرفتها التي تفوه منها رائحة الخزامي حيث الأسمطة الصغيرة المطرزة والإطارات من القطيفة، كي تقطع عنقها يا كريون. إنها ممددة الآن على أحد السريرين المتطابقين القديمي الطراز، في المكان ذاته الذي رأيتها فيه عندما كانت شابة ذات مساء و بنفس الابتسامة، بالكاد هي حزينة أكثر بقليل. لو لم تكن هناك تلك البقعة الحمراء الكبيرة على الشرافف حول عنقها، لكونا حسبناها نائمة.

كريون

هي أيضاً. جميعهم نائمون. هذا جيد. كان النهار متعباً. (بعد مدة، يقول بخنق). لا بد من أن النوم جيد.

المهد

لكنك وحيد الآن يا كريون.

كريون

نعم، وحيد. (صمت، يضع يده على كتف غلامه). أيها الصغير...

الغلام

سيدي؟

كريون

سأخبرك بذلك. لا يعرف الآخرون؛ نحن هنا أمام العمل، لا يمكننا أن نبقى مكتوفي الأيدي. يقولون أنها مهمة قذرة، إذا لم نقم بها فمن سيفعل ذلك؟

الغلام

لا أدرى يا سيدي.

كريون

بالطبع لا تعرف. أنت محظوظ! يجب ألا نعرف أبداً، هل أنت تتوقع لأن تصبح كبيراً؟

الغلام

أوه نعم، يا سيدي!

كريون

أنت مجنون أيها الصغير. يجب ألا يصبح المرء كبيراً. (تدق الساعة في بعيد، بهمس). إنها الساعة الخامسة! ماذا لدينا اليوم عند الخامسة؟

الغلام

اجتماع يا سيدي.

كريون

بما أنه لدينا اجتماع أيها الصغير فسنذهب لحضوره.
يخرجان، ينكى؛ كريون على الغلام.

المهد، ينقدم.

و هكذا، من دون أونتيغون الصغيرة، هذا صحيح، كانوا لينعموا جميعاً بالسلام. لكن انتهى الأمر الآن. و مع ذلك فهم ينعمون بالسلام، مات كل من كان عليهم أن يموتو. الذين كانوا يومنون بأمر ما ثم الذين كانوا يومنون بالعكس - وحتى الذين لم يومنوا بشيء لكتفهم وجدوا أنفسهم عالقين في القصة دون أن يفهموا. ماتوا بالطريقة ذاتها، جميعهم متصلبون، عديمو الفائدة، متغفون. و الذين ما زالوا أحياء سيذلون بنسائهم تدريجياً و بخلط أسمائهم. انتهى الأمر. هدأت أونتيغون الآن، لن نعرف أبداً بأي حمى. قضى على واجبها. هبط سكون كبير و حزين على طيبة و على القصر الفارغ حيث سيدأ كريون بانتظار الموت... بينما كان يتكلم، دخل الحراس. جلسوا على مقعد، قرئية نبذتهم بجانبهم،
قيعنهم على عنقهم، و بدأوا جولة ورق.

المهد

لم يبقى سوى الحراس. هم، لا يبالون بكل هذا؛ هذا الأمر لا يعنيهم. يتبعون لعب الورق...

يسدل الستار بسرعة بينما يلقون بأوراقهم الرابحة.

نهاية أونتيغون.